

## مقدمة

منذ صغري وأنا شغوف بقراءة السيرة النبوية، فلقد كان أخي وأستاذي مولاي الشريف القادري الذي حفظت عليه القرآن الكريم، في بداية دروسي الابتدائية في مدرسة درب العلو، كان يعطينا درسا أسبوعيا في السيرة النبوية من كتاب: (نور اليقين، في سيرة سيد المرسلين) للشيخ محمد الخضري المصري، المفتش بوزارة المعارف، ومدرس التاريخ الإسلامي بالجامعة، وكنت أحيانا آخذ نفس الكتاب من مكتب أخي، فأقرأ صفحات منه، وهكذا بدأت أتعرف على حياة الرسول، ابتداء من ولادته، إلى وفاته عليه السلام، وكانت شمائله وأخلاقه تستهويني، وتقوي ارتباطي، ومحبي له وأنا صغير، فلا أعتز على كتاب أستطيع مطالعته يتحدث عن سيرته، إلا وتستهويني قراءته. ولما ظهر كتاب (محمد ﷺ، المثل الكامل) لمحمد جاد المولى المفتش بوزارة المعارف المصرية، عكفت على قراءته، وهو كتاب قيم، ما أحرى شبابنا أن يطالعه ويستفيد مما فيه من معلومات عن حياة الرسول الأعظم ﷺ، وأخلاقه ودعوته وسيرته العامة.

وتابعت ما أمكنني أن أتابعه من قراءات ومطالعات  
في بعض كتب السيرة الصحاح، كالسيرة النبوية لابن  
هشام، والزرقاني المالكي على المواهب اللدنية،  
للقسطلاني، وبعض ما جاء في كتب الحديث الصحاح،  
وكتاب الشفا للقاضي عياض، وكتاب (حياة محمد ﷺ  
لمحمد حسين هيكل) وكتاب : (السيرة النبوية لأبي  
الحسن الندوي) ومختصر سيرة الرسول ﷺ) للشيخ عبد  
الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب).

وأثناء انشغالي بالتعليم في المدرسة التي أسستها  
بزوايتنا القادرية سنة 1933، كنت أحيانا أجمع تلامذة  
المدرسة في مختلف الأقسام والفصول، لألقي عليهم درسا  
في السيرة النبوية، وكنا أحيانا نتبع الدروس بإنشاد أناشيد  
في مدح الرسول.

لقد كنت مولعا وأنا في فترة الشباب، أذهب إلى  
الزاوية القادرية كل يوم جمعة، لأشارك وأتعلم نعمات  
(البردة والهمزية) للإمام البوصيري رحمه الله.

وفي شهر المولد النبوي "ربيع الأول" كنت أحضر  
دروسا كان يلقيها العلامة الشيخ أحمد الجريري وبعده  
الفقيه العلامة السيد أحمد بن عبد النبي في موضوع  
السيرة النبوية، إما عن طريق "البردة" أو عن طريق  
"الهمزية" للبوصيري.

وكان درس الفقيه الجريري يطول كثيرا ويحضره كل علماء مدينة سلا، بالإضافة إلى الطلبة الكبار، والطلبة الصغار مثلي. وأثناء شبابي وتوجهي التوجه الوطني الإسلامي وأنا في سن العشرين من عمري وما بعدها، صرت ألقى كلمات وخطبا بعد انتهاء الدرس في السيرة النبوية، قبل أن يتغنى المغنون بالأمداح النبوية، وكانت تلك الخطب تلقى تجاوبا كبيرا من لدن المستمعين على اختلاف تكوينهم الثقافي، فكانت تلك الخطب تربطني بمختلف الطبقات المجتمعية، ومن هنا كان توجهي الوطني منذ ذلك الوقت، مربوطا دائما بتوجهي الإسلامي. وكانت الروح الإسلامية، هي الغذاء الروحي للحركة الوطنية، في بداية نشأتها وتكوينها أوائل الثلاثينيات، كما كانت أحداث ما سمي بالظهير البربري، أثارت رد فعل قوي لدى الشعب المغربي، فصارت المساجد تملأ بالمصلين الذين يرفعون أصواتهم باسم الله اللطيف خاشعين قائلين : اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير، ولا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر.

هذه الروح الإسلامية الوطنية، كانت تربطني وإخواني ربطا قويا بالحقيقة الإسلامية التي أتى بها الرسول الأعظم، سيدنا محمد ﷺ، وتزيدني محبة له، وتعلقا به واستمساكا بسنته، وكنت أعتنم كل فرصة لي،

وخصوصا أثناء شهر المولد النبوي، فأكتب مقالات في بعض الصحف الوطنية، أو ألقى خطبا في بعض المساجد ومنها مسجد سيدي أحمد حجي، الذي كانت تلقى فيه دروس بمناسبة دخول شهر ربيع الأول، أو مسجد سيدي عبد الله بوشاقور، أو المسجد الأعظم الذي كنت أسرد فيه قصة المولد النبوي، لكاتبها الأستاذ عبد الله عفيفي وهي القصة التي فازت في المباراة الإسلامية العامة، وقد قرر شيخ الأزهر سنة 1935 إذاعتها، عوضا عن الموالد القديمة التي كانت تمزج فيها بعض الوقائع والأحداث غير الصحيحة.

ولقد وجدت بين أوراقى القديمة التي ترجع إلى الثلاثينيات والأربعينيات، كلمات كنت ألقيتها في بعض الاحتفالات بذكرى المولد النبوي، رأيت ضمها إلى كلمات أخرى، كتبتها مؤخرا في موضوع السيرة النبوية، وحياة الرسول الأعظم ﷺ، ونشرها في كتيب خاص، أوكد فيه التعريف برسالة رسول الله محمد عليه السلام، وأنها رسالة عالمية خالدة، وأنه ﷺ المثل الأعلى للإنسان الكامل، وأن الإنسانية لم تعرف سموها وعالميتها إلا بتعاليمه، وبالكتاب الذي نزل عليه، وأن واجبا أن ندرس سيرة الرسول دراسة واعية، ونربي ناشئتنا على أساس تعاليمه وسنته.

ولأختم هذا التقديم للكتاب بدعاء كنت ختمت به  
بعض أحاديثي القديمة في المسجد الأعظم بسلا، وهو  
الآتي :

اللهم إني نويت بالصلاة على النبي محمد ﷺ،  
امثالاً لأمرك، وتصديقاً لنبيك محمد ﷺ، ومحبة فيه،  
وشوقاً إليه، وتعظيماً لقدره، فتقبلها مني بفضلك  
وإحسانك، وأزل حجاب الغفلة عن قلبي، واجعلني من  
عبادك الصادقين الصالحين. اللهم زده شرفاً على شرفه،  
وعزا على عزه الذي أعطيته، ونوراً على نوره الذي منه  
خلقته وأعلّ مقامه في مقامات المرسلين، ودرجته في  
درجات النبيين، وأسئلك رضاك ورضاه يا رب العالمين  
وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين،  
وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلام على المرسلين والحمد  
لله رب العالمين.

22 صفر الخير 1429

فبراير 2008



## رسالة الرسول محمد عليه السلام رسالة عالمية خالدة

جاء في القرآن الكريم، يخاطب الرب العظيم  
سبحانه وتعالى رسوله الأمين، قائلاً :

﴿وما (1) أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا،  
ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ فالرسول الأمين عليه  
السلام، مكلف بتبليغ الرسالة إلى الناس كافة، لا فرق بين  
عربهم وعجمهم، سواء في العصر الذي نزلت فيه  
الرسالة على سيد الخلق عليه السلام، أو فيما أتى ويأتي  
بعده من العصور، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

### من حكمة الله، ارسال الرسل

ذلك أن الحكمة الالهية، اقتضت إرادتها رحمة  
بالعباد، أن تنير الطريق أمام الانسان في هذه الحياة  
المتصارعة الأهواء، المتعددة النزعات، وذلك عن طريق  
إرسال الرسل الكرام، ليبينوا للناس ما نزل اليهم،

(1) سورة "سبا" آية 28.

وليوضحوا لهم الطريق التي عليهم أن يسلكوها، حتى لا يتيه بنوا الانسان في معارج الضلالات، وينحرفوا عن الطريق الأسد، وينصرفوا عن عبادة الله الخالق، إلى عبادة الشيطان، وحتى يقوموا بواجبهم في تعمير الارض التي استخلفوا فيها، فيستحقوا التكريم الذي كرمهم ربهم، والميزات التي خصوا بها من دون الخلائق جميعها.

#### الانسان متدين بفطرته

ان الانسان منذ أن وجد على ظهر هذا الكوكب الأرضي، وهو منجذب الى مؤثرات داخلية في نفسه. مفطور على التعلق بها، والانصياع لها، والخضوع لإرادتها، فهي متحكمة فيه عميقة في نفسه، لها تأثيرها وفعاليتها في حياته وفي تكييف هذه الحياة. وليست هذه المؤثرات، الا ذلك الوازع الديني الرابط الانسان بربه، والعقيدة الدينية التي أثبتت الدلائل أنها عميقة في كل النفوس الانسانية، وأنها الفطرة التي فطر الله الناس عليها (لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم). ولقد أكدت الأبحاث التي قام بها العلماء المختصون في الحفريات، أن العقيدة الدينية كانت دائما مواكبة للحياة الانسانية، منذ أن كانت هذه الحياة على وجه هذه البسيطة، وأن تأثيراتها كانت تعمل عملها في النفوس، وتدفع بها الي كثير من الترقى والتطور في الحياة، وإذا كان الانسان مرتبطا تمام الارتباط بالكون، وما فيه من مخلوقات مرئية



وغير مرئية، وإذا كان الكون يسير بتدبير محكم متقن كل الاتقان، هو تدبير الصانع الحكيم جلت قدرته، فإن هذا الانسان خاضع بدوره حتما إلى هذا التدبير الحكيم، فهو مرتبط أحب أم كره، بالخالق المدبر، وهو ذو علاقة متينة بهذا الخالق الصانع الذي خلقه في أحسن تقويم، ثم يردده إن شاء أسفل سافلين، إلا إذا آمن وعمل الصالحات.

### الدين ضرورة بشرية

فالدين ضرورة بشريه، وفطرة في الانسان طبيعية، وتجاهل هذه الحقيقة أو رفضها، عبث ونكران، لا يثبتته أي برهان. فلقد جاء في معجم<sup>(2)</sup> (لاروس) للقرن العشرين، "ان الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية، وأقربها الى الحياة الحيوانية، وان الاهتمام بالمعنى الالهي، وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية" ويقول الفيلسوف هنري<sup>(3)</sup> برجسون "لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة".

### هناك منظم قدير حكيم

ونقلت وكالة "تاس" السوفييتية، أن العالم السوفييتي، المشرف على أبحاث الفضاء، قال غداة نجاح

(2) (3) "الدين" للدكتور الدراز.

السوفييت في اطلاق مركبة الفضاء التي حملت (جارجارين) وعادت به سالما : "أننا كلما أمعنا في استكشاف مجاهل الكون، ثبت لنا أن نظامه الرائع في دقته، يجري وفق قوانين تبلغ في كثرتها واختلاطها ودقتها، حدا يستحيل معه أن تكون قد وجدت بشكل جزافي، أو لعبت فيه الصدفة دورها، بل لابد من أن يكون خلف كل هذا، منظم ماهر،<sup>(4)</sup> ولسنا بصدد سرد كل الاقوال التي وردت في اثبات هذه الحقائق، والرد على منكريها، ولكننا نود فقط، أن نؤكد أن حقيقة الوازع الديني. وارتباط الانسان بخالقه الأعلى تعالت أسماؤه، حقيقة لا مجال لانكارها. فالدين ضرورة حتمية، وهو الوحيد الذي يفسر صلة الانسان بهذا الكون، وبخالق هذا الكون، ومدبر شؤون هذا الكون.

#### ان الدين عند الله الاسلام

وإذا كان الامر كذلك، فان حقيقة الدين الذي فطر الله الانسان عليه، هي إسلام الانسان وجهه للرب العظيم، وخضوعه له، وانسياقه اليه، وعبوديته له تعالى، فيكون "الاسلام" هو الدين الحق الذي أتت به جميع الرسل الكرام، واختتم بمبعث الرسول محمد عليه الصلاة والسلام<sup>(5)</sup> ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا

(4) الاسلام ضرورة عالمية تأليف: زاهر عزب الزغبى.

(5) سورة الشورى.

والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى  
وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴿٦﴾ إن الدين  
عن الله الاسلام ﴿٧﴾ و﴿من يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل  
منه، وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

ان الدين الذي أتى به محمد عليه الصلاة والسلام  
هو الدين المقرر عند الرب العظيم، منذ أن خلق الله هذا  
الكون، وان الرسل السابقين من لدن آدم عليه السلام الى  
ظهور سيد الخلق، كانوا مبعوثين بحقيقته التي تمت  
وكملت بظهور سيدنا محمد عليه السلام، خاتمة الرسل  
الكرام، والذي يعتبر لبنة التمام، ومظهر الكمال، والنور  
الذي هدى الله به الإنسانية الى طريق الحق والخير  
والتوحيد الصحيح.

#### اتمام الدين بمبعث الرسول الأمين

وهكذا يتبين لنا أن طريق الهداية الحقيقية، انما أنت  
وكملت بمبعث الرسول الأمين عليه السلام، وان الرسل  
السابقين صلوات الله عليهم، انما كانوا ممهدين وموطئين،  
وأن الميثاق الماخوذ عليهم من طرف الرب سبحانه، يؤكد  
هذه الحقيقة ويثبتها، ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما  
آتيناكم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول مصدق لما  
معكم، لتؤمنن به ولتنصرنه. قال أقررتم وأخذتم على

(6) الشورى آية 13.

(7) سورة آل عمران، آية 85.

ذالكم إصري، قالوا أقررنا، قال فاشهدوا وأنا معكم من  
الشاهدين، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون  
أفغير دين الله تبغون وله أسلم من في السماوات والأرض  
طوعا وكرها وإليه ترجعون ﴿٨﴾.

### رسالة الرسول عامة

قال الامام تقي الدين السبكي <sup>(٩)</sup> في كتابه :  
(التعظيم والمنة) في تفسير قوله تعالى : ﴿لتؤمنن به  
ولتنصرنه﴾ : في هذه الآية من التنويه بالنبي ﷺ،  
وتعظيم قدره ما لا يخفى، وفيه مع ذلك أنه على تقدير  
مجيئه في زمانهم، يكون مرسلا اليهم، فتكون نبوته  
ورسالته عامة لجميع الخلق، من زمن آدم إلى يوم القيامة،  
وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته. ويكون قوله :  
﴿بُعِثت الى الناس كافة﴾ لا يختص به الناس من زمانه الى  
يوم القيامة، بل يتناول من قبلهم أيضا، ويتبين من ذلك  
معنى قوله ﷺ : "كنت نبيا وادم بين الروح والجسد، ثم  
قال السبكي : فالنبي ﷺ هو نبي الأنبياء، ولهذا ظهر  
ذلك في الآخرة جميع الانبياء تحت لوائه، وفي الدنيا  
كذلك ليلة الاسراء صلى بهم، ولو اتفق مجيئه في زمن  
آدم، وابراهيم، وموسى، وعيسى، وجب عليهم وعلى  
أممهم، الايمان به ونصرته، وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم،

(8) سورة آل عمران، آيات : 81 و82 و83.

(9) نقلا عن كتاب "حجة الله على العالمين للنبهاني ص 41.

فنبوته عليهم، ورسالته اليهم معنى حاصل له. وقال الامام القسطلاني في المواهب اللدنية: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه، لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده، الا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ، لئن بعث وهو حي، ليومنن به ولينصرنه، وياخذ العهد بذلك على قومه وقال الامام محيي الدين بن عربي في الفتوحات : ان مستمد جميع الانبياء والمرسلين، من روح محمد ﷺ اذ هو قطب الاقطاب، فهو ممد لجميع الناس أولا وآخرا، فهو ممد كل نبي، وولي سابق على ظهوره، حال كونه في الغيب، وممد أيضا لكل ولي لاحق به، فيوصله بذلك الامداد، الى مرتبة كماله في حال كونه موجودا في عالم الشهادة، وفي حال كونه منتقلا الى الغيب، الذي هو البرزخ، والدار الآخرة، فان أنوار رسالته ﷺ غير منقطعة عن العالم، من المتقدمين والمتأخرين. وجاء في حديث الإسراء الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه : "ثم لقي أرواح الأنبياء، فاثنوا على ربهم، ثم ان محمدا ﷺ قال : كلكم أثنى على ربه، وانا مثن على ربي فقال : "الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيرا ونذيرا، وأنزل علي الفرقان، فيه تبيان كل شيء، وجعلني فاتحا وخاتما" فقال ابراهيم : بهذا فضلكم محمد، وأقروا بما أثنى هو على ربه. وبما قاله ابراهيم، وهو تفضيله ﷺ.

وروى عبد الله بن عباس : ان الله تعالى فضل محمدا على أهل السماء وعلى الأنبياء، قالوا يا ابن عباس : فبم

فضله الله على الأنبياء؟ قال رضي الله عنه : ان الله تعالى قال (10) : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ وقال للنبي ﷺ : ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ (11) فأرسله الله الى الجن والانس. وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال : قال (12) رسول الله ﷺ : أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأبما رجل من أمتي ادركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد من قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث الى قومه، وبعثت إلى الناس كافة، وفي الصحيح (13) أيضا أن رسول الله ﷺ قال : بعثت الى الأسود والأحمر. قال علامة الشام، الشيخ محمد جمال الدين القاسمي في تفسيره المسمى محاسن التأويل : والتحقيق في معنى عموم إرساله، وشمول بعثته، هو مجيئه بشرع ينطبق على مصالح الناس وحاجاتهم أينما كانوا، وأي زمان وجدوا، مما لم يتفق في شرع قبله قط، ولهذا ختمت النبوات بنبوته ﷺ.

والآيات القرآنية الواردة في تأكيد بعثة الرسول عليه السلام الى العالمين كافة، كثيرة متعددة، كقوله تعالى

(10) سورة إبراهيم.4

(11) سورة سبأ 28.

(12) أخرجه البخاري في كتاب التيمم

(13) أخرجه الامام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة

مخاطبا رسوله الأمين عليه السلام : ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض﴾<sup>(14)</sup> وقوله ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾<sup>(15)</sup> إلى غير ذلك من الآيات. وإذا كانت رسالة محمد ﷺ عامة ودائمة، فانها كذلك رسالة كاملة، تجمع فيها ما تفرق في غيرها، حيث انها جوهر الرسالات السماوية ولبها، وحقيقة التعاليم الالهية وسرها، اذ هي رسالة النور والحياة، والدليل الهادي الى طريق النجاة، نورها دائم مشع مضىء، وتعاليمها تنير البصائر والأبصار. فلولاها لبقيت الانسانية كلها تائهة في بحر لحي من الضلال والانحراف، ولبقيت العقول في جاهليتها الجهلاء، مغطاة بالحجب عن ادراك الحقائق والآيات.

### الرسالة الاسلامية انطلاقا للعقول

لقد كانت رسالة رسول الله سيدنا محمد عليه السلام انطلاقا للعقول، وبعثا للأرواح، وإيقاظاً للضمائر، ودفعاً للتفكير، وتحريرا من الأوهام، وتصحيحا للمفاهيم. وابتعادا عن الشهوات، وتنويرا للأذهان، وعودة صريحة صالحة لتصحيح المعتقدات، والتعرف الى رب الأرض والسماوات.

(14) سورة الأعراف 158.

(15) سورة الفرقان 1.

لقد اقتضت حكمة الله أن تتدرج الانسانية في إدراك أسرار التشريع الالهي، وتتهياً لتحمل الامانة الارضية، حتى إذا كان مبعثه عليه الصلاة والسلام، كانت الإنسانية تهيات التهيؤ الضروري لإدراك عمق الرسالة الالهية، وللاستجابة إلى تحقيق الأهداف المثلى التي يتطلبها تنظيم المجتمع الانساني السليم، حيث أن رسالة محمد عليه السلام كانت الحلقة الأخيرة والنهائية من رسالات السماء الى هذا الكوكب الأرضي، كما كان صاحبها عليه السلام خاتمة الرسل الكرام.

#### حكمة ارسال الرسل عليهم السلام

لقد أراد الله سبحانه أن لا تبقى هذه المجموعة الانسانية تائهة في لجج الظلام، ولذلك بعث الأنبياء والمرسلين، لئلا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وكانت رسالة سيد الأنام، آخر رسالة إلهية الى الأنام، حتى لا يبقى أي عذر يعتذر به بنو الانسان ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير، والله على كل شيء قدير﴾<sup>(16)</sup> ﴿هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم﴾<sup>(17)</sup>

(16) سورة المائدة 19.

(17) سورة الجمعة 3.



﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾<sup>(18)</sup> ﴿يا أيها النبيء  
إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه  
وسراجاً منيراً﴾<sup>(19)</sup> ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى  
ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً،  
محمد رسول الله﴾<sup>(20)</sup>.

### الرسالة الاسلامية استجابة لما يتطلبه إصلاح البشر

وإذا كانت رسالة رسولنا الأمين، آخر رسالة  
سماوية إلهية إلى الناس كافة، وكان صاحبها عليه السلام،  
خاتم الرسل الكرام، فأنما كان ذلك لأنها أتت بجميع ما  
يتطلبه صلاح البشرية من تعاليم وارشادات ونظم،  
ولأنها عالجت قضايا ومشاكل الانسان، كيفما كان، وفي  
أي عصر وجد هذا الانسان.

### الرسالة اهتمت بإصلاح شؤون المجتمعات

فرسالة الاسلام التي أتى بها سيدنا محمد عليه  
السلام، لم تهتم بجانب خاص من جوانب الحياة  
الإنسانية، ولكنها اهتمت بجميع الجوانب، سواء منها  
الجوانب الفكرية، أو الروحية، أو المادية، أو الاجتماعية،  
وبذلك استطاعت أن تنجح في تنظيم وتأسيس مجتمع

(18) سورة المائدة 15.

(19) سورة الأحزاب : 45 و 46.

(20) سورة الفتح 28.

اسلامي موحد متكافئ، متوازن متعاون سليم، مثل ما استطاعت أن تصهر في كتلة مترابطة موحدة، كل العناصر الإنسانية على اختلاف أجناسها وألوانها وسلالاتها ولغاتها، وتجعل منها أمة موحدة متماسكة، ربها واحد، وعملها واحد، وأهدافها في الحياة واحدة، ﴿ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾<sup>(21)</sup> وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾<sup>(22)</sup>، فالأمة الإسلامية، المنقادة لرسول الاسلام، ليست الأمة العربية وحدها، وليست التي تتكلم باللسان العربي وحده، ولكنها الامة المنقادة لرسول الاسلام، العاملة بتعاليمه، الساعية في خير الإنسانية، الآمرة بالمعروف، والناهية عن المنكر ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تامرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله﴾<sup>(23)</sup>.

### مسؤولية الأمة الإسلامية

وهذه الأمة الإسلامية مطالبة بتأدية الرسالة التي أتى بها سيد الأنام عليه السلام، والتعريف بحقائقها، والدعوة إلى اتباع نهجها، مبينة لجميع الأفراد والشعوب والأمم، أن الاهتداء بهديها، والسير في نهجها، والتمسك بتعاليمها. هو الطريق الوحيد للنجاة والحياة في سعادة

(21) سورة الأنبياء 92.

(22) سورة البقرة، آية 143.

(23) آل عمران، آية 110.

واطمئنان. ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾<sup>(24)</sup> فان الرسول محمدا ﷺ استطاع في لحظة قصيرة من الزمن، أن يؤلف أمة متخالفة متنافرة متطاحنة، ويجعل منها أمة موحدة متآخية ﴿لَوْ أَنْفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا آَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ آَلَفَ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(25)</sup>.

وتوضيح رسالة رسول الاسلام، يتطلب التعريف بالمبادئ التي دعا اليها الرسول الأمين عليه السلام، لتوحيد الأمة الانسانية الإسلامية، فما هي تلك المبادئ التي قامت عليها رسالة الرسول محمد عليه السلام؟

### التعريف بحياة الرسول ومبادئه

إن التعريف بالمبادئ التي قامت عليها الرسالة الاسلامية، يتطلب التعريف بحياة الرسول وتعاليمه وأخلاقه ومبادئه، فان معرفة ذلك تفتح عيوننا أعمتها الضلالات والأحقاد، وصرفتها عن إدراك الحقائق الاسلامية، وعن الأهواء والأغراض. ولو أتيح لمن سينير الله بصيرته، أن يعرف بحقائق الرسالة الاسلامية، لاهتدى الكثيرون من مختلف الشعوب والدول، ولحققت الإنسانية رشدها، وأمنت العثرات والزلات المتردية فيها.

(24) سورة الأنعام، آية 153.

(25) سورة الانفال، آية 63.

## أهداف الرسالة الاسلامية، من خلال القرآن والسنة النبوية

ومعرفة تعاليم الرسول عليه السلام وأهداف رسالته، لا تفهم على حقيقتها، إلا من خلال دراستنا لسيرته، وتدبرنا وإمعاننا في الآيات القرآنية التي أنزلت عليه من ربه، والأحاديث النبوية التي صحت عنه. فهاته المصادر الأساس التي توضح لنا رسالة رسول الإسلام عليه السلام.

فلنأت ببعض الآيات القرآنية الشارحة لأهداف رسالة الاسلام، والموضحة لبعض تعاليمه في مختلف جوانب الحياة الانسانية، لعلنا ننير الطريق أمام من يتطلع إلى معرفة حقائق رسالة رسول الاسلام.

ان أول ما اهتمت به رسالة الرسول، تصحيح العقيدة في النفوس، وتخصيص الرب العظيم بالألوهية المطلقة ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾<sup>(26)</sup> ﴿يا أيها المدثر قم فأندر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر، ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر﴾<sup>(27)</sup> ثم عاجلت الدعوة الاسلامية

(26) سورة آل عمران آية 64.

(27) سورة المدثر، آية 1-2-3-4.

حالة المجتمع الانساني من جميع نواحيه، فدعت إلى القيام بالأعمال الصالحات، وجعلت العمل الصالح مقرونا بالايمن، ﴿والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر﴾<sup>(28)</sup> وفي مجال القيام بالأعمال الصالحات والتنويه بالعلم والعلماء، دعت إلى التقوى والاحسان وتعاطي أنواع العلوم جميعها. ﴿قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم، للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾<sup>(29)</sup> ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾<sup>(30)</sup>، كما دعت إلى التفكير واستعمال العقل الانساني، منوهة بأولي الألباب والعقول الراجحة. وعندما دعت إلى تنظيم المجتمع، طالبت باقامة العدل بين الناس، والحفاظ على الوحدة، والانفاق في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأداء الأمانات إلى أربابها، والتسامح في المعاملة، والدفاع عن الاسرة، واعطاء الحقوق للمرأة، والمساواة بين الخلائق، والتعاطف بين أفراد المجتمع، والكسب الحلال، والاعتناء بطبقات المستضعفين، ونهت عن الاحتكار، وكنز الأموال، وعن أكل أموال الناس بالباطل، ثم أمرت بالشورى في الاحكام، وإعداد القوة للدفاع، والجهاد في سبيل الله والحق والكرامة ومكافحة الظالمين

(28) سورة العصر، آية : 1-2-3.

(29) سورة الزمر : آية 10.

(30) سورة الزمر : آية 9.

والمعتدين والخائنين، إلى غير ذلك من المواضيع التي اهتمت بها الرسالة الاسلامية، سواء في الميدان الاجتماعي أو الاقتصادي، أو السياسي، أو العسكري.

﴿إن الله يامر بالعدل والاحسان وابتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون﴾<sup>(31)</sup> ﴿إن الله يامركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾<sup>(32)</sup> ﴿ولا يجز منكم شأن قوم على ألا تعدلوا، أعدلوا هو أقرب للتقوى﴾<sup>(33)</sup> ﴿وان أحكم بينهم بما انزل الله، ولا تتبع أهواءهم﴾، ﴿واعتصموا بحبل الله، جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين﴾ ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء﴾ ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله.﴾ ﴿خذ العفو، وامر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين﴾ ﴿يا

(31) سورة النحل. الآية : 90.

(32) سورة النساء: الآية : 58.

(33) سورة المائدة: الآية : 8.

أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ﴿١﴾ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴿٢﴾ ولهن مثل الذي عليهم بالمعروف ﴿٣﴾ ان أكرمكم عند الله أتقاكم ﴿٤﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴿٥﴾، وأحل الله البيع وحرم الربا ﴿٦﴾ والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴿٧﴾ والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب اليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم، فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴿٨﴾ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ﴿٩﴾ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴿١٠﴾ ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ﴿١١﴾ فقاتلوا أولياء الشيطان ﴿١٢﴾ أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ﴿١٣﴾.

والمقام لا يسمح بسرد كل الآيات والأحاديث النبوية التي تشرح أهداف الرسالة الاسلامية في تنظيم الحياة الانسانية، والتي جعلت الرسول العظيم ﷺ ينطق في بعض أحاديثه قائلا "أنا رحمة مهداة" وصدق رسول الله، فهو رحمة للعالمين بنص القرآن الكريم ﴿١٤﴾ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴿١٥﴾.

## معالم الدعوة الاسلامية

والواقع أن الرسالة الاسلامية، والدعوة المحمدية، غمطتا حقهما، وهوربتا من طرف أعدائهما حربا طال أمدها، وأن الأوان لتوضيح معالم هذه الدعوة، والإتيان بالدلائل القاطعة على ضرورة التمسك بها، والأخذ عنها، إن أرادت الانسانية السير في طريق الأمان والحضارة والاطمئنان. لقد أدرك هذا كثير من الفلاسفة والحكماء والعلماء الاروبيين أنفسهم، فطفقوا يدعون بصوت مرتفع، أن الواجب يقضي بفتح الأعين، ومقاومة الأضاليل التي كان ينشرها أعداء القرآن الكريم، والسنة النبوية الطاهرة.

## شهادات أجنبية في "محمد" والاسلام

لقد جاء في مقال كتبه الفيلسوف "سكنس" بعنوان "محمد": ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وإرجاعها الى الاعتقاد بإلاه واحد، وبحياة بعد هذه الحياة. ثم قال: ان الديانة الاسلامية أحدثت رقيا كبيرا جدا في الفكرة الدينية العالمية، وخلصت العقل الانساني من قيوده الثقيلة التي كانت تأسره حول الهياكل بين الكهان، إلى أن يقول: أما الإسلام في ذاته، فهو في نظرنا اليوم - على شرط تخليصه من كل التعاليم التي ألصقتها به الشعوب الطفلة.



ومن كل الشروح الباطلة التي شرحت بها أقوال النبي ﷺ، أكبر وأعظم ما يدركه الإنسان من معنى الدين، وتعاليمه في العلاقات التي يجب أن تكون بين الإنسان وخالقه، وهي أكثر التعاليم انطباقاً على نوااميس الطبيعة وقوانين العقل الانساني<sup>(34)</sup> ويقول الدكتور: ريتش الاستاذ في جامعة برمنجهام، موجه الخطاب الى الرسول محمد عليه السلام: يا مخلص العالم من ذل العبودية، يا من وفقت بين قلوب البشر، وجعلت الاخلاص شعارك، ان العالم ليفخر بك<sup>(35)</sup>.

#### ما يقوله المستشرق "جب"

ويقول المستشرق: جب في كتابه: (وجهة الاسلام) لا يزال الاسلام في العالم العربي، يسلك سبيلا وسطا بين المتناقضات الشديدة، وهو على معارضته لفوضى القومية الأوروبية، وللنظام العسكري لروسيا الشيوعية، لم يقع - بعد - فريسة للهجمات الاقتصادية المحلية التي تمتاز بها أوروبا وروسيا. ثم يقول: الاسلام دين حي، يبعث الحيوية، فتستجيب له قلوب عشرات ومآت الملايين، وعقولهم وضمائرهم، ويمدهم بالمثل التي تريهم كيف يعيشون به عيشة الامانة والوقار والتقوى<sup>(36)</sup>

(34) عن كتاب الثورة الاجتماعية في الاسلام ص 400.

(35) نفس المصدر.

(36) الثورة الاجتماعية في الاسلام ص 382.

### ما يقوله "ماسينيون"

ويقول المستشرق الفرنسي الأستاذ "ماسينيون" :  
للإسلام الفضل في أنه يمثل لنا فكرة عادلة عما يقوم به كل فرد من أبناء الوطن، بدفع عشر ربيع الأرض، للخبزينة العامة.. انه يشن الغارة على المبادلة المطلقة، ورأسمالية المصارف، وقروض الدولة، والضرائب غير المباشرة على الأشياء ذات الأهمية الجوهرية. ثم هو يؤكد حقوق الأب والزوج، والملكية الفردية، ورأس المال التجاري ونراه - هنا - يقف مرة في مكان وسط بين الرأسمالية البورجوازية، وبين الشيوعية البولشفية، ولكن لاتزال للإسلام رسالة يؤديها من أجل الإنسانية، ولا يوجد مجتمع سجل له من النجاح في أن يجمع بين كثير من الأجناس المختلفة، أن يسوي بينهما في العمل والمكانة، وتهيئة الفرص، كما سجل الإسلام. ثم يقول : واذا لم يكن بد من أن يحل التعاون محل الشقاق بين المجتمعات العظيمة في الشرق والغرب. فان وساطة الإسلام، شرط لا بد منه، لانه في يده - الى حد كبير - حل المشكلة التي تواجه أوروبا في علاقاتها مع الشرق.

### ما يقوله "كارليل"

ويقول الفيلسوف كارليل في كتابه "الابطال" لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدين من أبناء هذا العصر،

أن يصغى الى ما يرجف به المرجفون، وما يروجه المغرضون، من أن رسالة محمد ﷺ مفتراة، وانه خداع مزور. وآن لنا أن نحارب ما يشاع من هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فان الرسالة التي أداها ذلك النبي العربي، مازالت السراج المنير مدة ثلاثة عشر قرنا، لنحو سبعمائة مليون من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا.

وقال مستر "جون. دي.فو. نبرت : ان محمدا حرم سفك الدماء، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وأقر المساواة، وأستنكر الاستبداد، ومنح الإنسان حقوقه المدنية، فلتتذكر أروبا انها مدينة بالفضل لهذا الرجل العظيم العملاق الثائر.

ويقول "مارتل لوثر" المصلح المسيحي الكبير : إن محمدا من أكبر مريدي الخير للإنسانية فاذا حق لآسيا أن تفخر بأبنائها، فيحق لها أن تفخر كثيرا بهذا الرجل الفريد العظيم كل الفخر : محمد عليه السلام، الذي انقد العالم، وأرشد الإنسانية وهدى الحياة»<sup>(37)</sup>

ويقول الكاتب الانجليزي (ولز) : كل دين لا يسير مع الدنيا في كل طور من أطوارها، فاضرب به عرض الحائط، ولا تبال به. وان الديانة الحققة التي وجدتها تسير مع المدنية - التي سارت - هي الديانة الإسلامية، واذا

(37) الثورة الاجتماعية في الاسلام ص 382.

أراد الإنسان أن يعرف شيئاً من هذا، فليقرأ (القرآن) وما فيه من نظرات علمية، وقوانين وانظمة لربط المجتمع<sup>(38)</sup>.

### شهادة الدكتور "موريس بوكاي"

وأخيراً هاهو الدكتور الفرنسي (موريس بوكاي) يصدر كتاباً هاماً تحت عنوان : (الكتاب المقدس، والقرآن والعلم) وهو عبارة عن دراسة علمية قام بها المؤلف للكتب السماوية، على ضوء المعارف العصرية. ولقد جاء في هذا الكتاب مايلي<sup>(39)</sup> : (ان المادية الملحدة لا تجد في الكتب اليهودية المسيحية لغة تقارب لغتها ولو من بعيد، وذلك لما تنطوي عليه هذه الكتب من أمور مستحيلة، ومتناقضة، ومتعارضة مع معطيات العلم. فهل نتحدث للمادية الملحدة عن الاسلام؟ انها ستبتسم بغرور لا يعادله الا نقصان معلوماتها عن الإسلام، ذلك أن اكثرية المثقفين الغربيين كيفما كانت عقائدهم الدينية، لا يتوفرون إلا على أفكار جد زائفة عن الاسلام، واننا اذا استثنينا المواقف التي اتخذتها السلطات الكنسية العليا، منذ عهد قريب جداً، نرى أن الاسلام قد استهدف في اقطارنا الغربية لما يمكن أن يسمى (بالتشنيع العريق في

---

(38) الثورة الاجتماعية في الاسلام.

(39) عن الملخص الذي ترجمه الأستاذ محمد العربي الخطابي ونشره في العدد الثامن من مجلة "المناهل" التي تصدرها وزارة الثقافة بالمغرب.

القدم) وما من متعلم غربي أتيح له أن يعمق معارفه حول الإسلام، إلا ويعرف مدى ما لحق بتاريخ هذا الدين وعقيدته ومقاصده من مسخ. وبعد ما يتحدث عن الأسباب التي دفعته للدراسة التي قام بها، يقول : فإن الاعتبار التي نورد تفاصيلها في هذه الدراسة - من وجهة نظر العلم - تحملنا على أن نحكم بأنه لا يتصور في الذهن، أن يتمكن رجل من البشر عاش في القرن السابع الميلادي، من أن يأتي في القرآن بأفكار ليست أفكار عصره، وذلك في مواضيع متعددة، تنطبق تمام المطابقة مع ما اثبتته العلم بعد قرون من ذلك العصر، وانني أعتقد أنه لا يوجد تفسير بشري للقرآن) أي إن القرآن لا يمكن أن يكون من صنع البشر، وانه كلام الله حقا وصدقا) انتهى كلام بوكاي.

لقد تعمدت أن آتي باقوال علماء وفلاسفة لا يدينون بالإسلام، واعترافاتهم بما يمتاز به هذا الدين، والرسول الذي أتى به من مبادئ أخلاقية واجتماعية، تسائر التطور البشري، وتقدم المدنية والحضارة. واذ كان التقدم العلمي ، وبعض النظريات الفلسفية، أرادت أن تزيح العوامل الدينية عن تقدم البشرية، وإبعادها عن التأثير فيها، فان ذلك من أكبر الأخطاء والأضرار التي حلت بالانسانية، سواء في العصور الماضية، أو في هذه العصور التي نحياها الآن.

لقد أدرك هذا كثير من المفكرين العالميين الذين أصبحوا ينادون بضرورة الرجوع الى الحقائق الدينية السليمة التي تربي الضمير الحي، وتقي الإنسانية من الكوارث والاحطار التي تهددها، نتيجة ابتعادها عن الدين، وانساقها مع التقدم العلمي الذي أصبح يستعمل مع الأسف الشديد ضدا على المصلحة الإنسانية.

#### **التقدم العلمي لا يحقق للإنسانية ما تطمح اليه**

فالتقدم العلمي رغما عن أهميته وسلطانه، لم يستطع أن يحقق للإنسانية ما تطمح اليه من سعادة وخير وهناء، وما الازمات التي يُعاني منها العالم اليوم، الا دليل واضح على ان العلم دون دين صحيح، لا ينتج الا التطاحن والبغضاء، وما الدين الصحيح إلا الدين الذي ارتضاه الله للبشرية، دين الانبياء والمرسلين، دين الاسلام الحنيف.

ان الدين الذي اتى به رسولنا الأمين عليه السلام، هو الذي يحقق للبشرية سعادتها وما تطمح إليه من هناء، لأنه لا يتجه في الحياة الانسانية اتجاهها روحيا محضا، ويبقى بعيدا عن مصارعة الحياة ومشاكلها. ولكنه كما قال الأستاذ محمد أسد :

(من وجهتيه الروحية والاجتماعية، لا يزال بالرغم من جميع العقبات التي خلفها تأخر المسلمين، أعظم قوة نهضة بالهمم عرفها البشر<sup>(40)</sup>)

(40) الاسلام والرد على معتنقيه للاستاذ النمساوي محمد اسد (لويولد فايس).

ان تعدد المزايا والمناقب التي أتى بها ودعا إليها رسولنا محمد ﷺ أمر عسير علينا في هذه العجالة، فالقرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، مليان بتوضيح هذه الدعوة الاسلامية الكريمة، وما فيها من حكم وتعاليم وإرشادات، لو اتبعتها الإنسانية لصلحت واستقام أمرها.

### السيرة النبوية تشرح أهداف الرسالة الاسلامية

فلنرجع إلى السيرة النبوية الطاهرة، نكتطف منها ولو جزءا يسيرا من الملامح التي تشرح لنا هذه الرسالة التي أتى بها رسولنا محمد عليه السلام : لقد لبث رسول الله يدعو الناس الى الحق والهدى ثلاثا وعشرين سنة، يدعو الى تطهير النفوس بالتوحيد، وإلى إصلاح المجتمع باقامة العدل بين الناس، وإلى توحيد المومنين على أساس الاخوة، فذاق المسلمون الأولون حلاوة الايمان. وتعرفوا إلى حقيقة هذا الدين، وطفقوا يبشرون به أينما حلوا وارتحلوا، هذا جعفر بن أبي طالب يتحدث الى النجاشي ملك الحبشة قائلا : «أيها الملك. كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام، وناكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، وياكل القوي منا الضعيف، حتى بعث الله الينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا لتوحيد الله، وأن لا نشرك به شيئا،

ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث،  
وأداء الأمانة، وصلوة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن  
المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل  
مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة والصيام... فأمرنا به وصدقناه  
وحرمنا ما حرم علينا، وحللنا ما احل لنا».

### بعض شمائل الرسول الامين

لقد رباه ربه فاحسن تربيته، وأدبه فاحسن تأديبه،  
وأعطاه فأرضاه، وخصه بكمالات لم يخص بها أحداً من  
خلقه ﴿والله يوتي فضله من يشاء﴾ لم يكن في عصره ولا  
قبيلته من يدانيه في الفضل والأخلاق والخصال والجمال،  
حتى سماه قومه قبل مبعثه «بالأمين» وحتى وصفه ربه  
جلت قدرته قائلاً : ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾  
كان ﷺ متواضعا أحسن ما يكون المتواضعون، خافضا  
جناحيه للمؤمنين، يجالس أصحابه ويحادثهم كأنه  
واحد منهم، دخل عليه بعض الاعراب، فارتاع من  
هيئته، فقال ﷺ : خفض عليك، فانما انا ابن امرأة كانت  
تأكل القديد بمكة، لم يكن ﷺ ينطق الا صدقا، ولا يقول  
إلا حقا، تعابيره في منتهى البلاغة، وأقواله في منتهى  
الفصاحة، يقول الامام أبو الحسن الماوردي المتوفى سنة  
450هـ، في كتابه "أعلام النبوة" : واما الوجه الثالث في  
فضائل أقواله، فمعتبر بثمان خصال : احداهن ما أوتي  
من الحكمة البالغة، واعطى من العلوم الجممة، وهو أمي



من أمة أمية، لم يقرأ كتابا ولا درس علما، ولا صحب عالما ولا معلما، فأتى بما بهر العقول، وأذهل الفطن، من إتقان ما أبان، وإحكام ما أظهر، فلم يعثر فيه بزلل، في قول أو عمل، وجعل مدار شرعِهِ على أربعة أحاديث، أو جز بها المراد، وأحكم بها الاجتهاد. أحدها : قوله إنما الاعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، والثاني قوله : الحلال بين، والحرام بين، وبين ذلك أمور متشابهات، ومن يحم حول الحمى، يوشك أن يقع فيه. والثالث قوله : من حسن، إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، والرابع قوله : دع ما يرييك إلى ما لا يرييك. وقد شرع من تقدم من حكماء الفلاسفة سننا حملوا الناس على التدين بها، حين علموا انه لا صلاح للعالم الا بدين ينقادون له، ويعملون به، مما راق لها أثر، ولا فاق لها خبر، وهم ينبوع الحكم، وأعيان الأمم، وما هذه الفطرة في الرسول ﷺ الا من صفاء جوهره، وخلوص مخبره".

وان المتتبع للتعاليم التي صحت عن الرسول محمد عليه السلام، تثبت بما لا يدع مجالاً لأي شك، انه ﷺ كان يؤمن كل الايمان أن رسالته لكافة الخلائق، ولكل الأزمان، كما تثبت انها عاجلت بالتوجيهات الرشيدة، كل المشكلات التي يتطلبها إصلاح المجتمع البشري، سواء في عهده عليه السلام، أو في العصور التي أتت والتي ستأتي بعده الى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

### الرسالة الاسلامية تعالج مشاكل الحياة

وعلاج الاسلام للمشاكل، لا يختص بجانب واحد في الحياة، دون الجوانب الأخرى، فهو عالج للمشاكل الاجتماعية، مثل ما أعطى توجيهاته السديدة لعلاج المشاكل الاقتصادية، وهو اعتنى بالجانب الخلقى والسلوكي، مثل اعتنائه بالجانب التربوي والروحي، فتقويم الانسان، وإسعاده في الحياتين، كان الهدف الأسمى للرسالة الاسلامية.

والاخطار التي تهدد سلامة العالم الانساني في هذا العصر، تنبه لها الاسلام منذ أربعة عشر قرنا، وأعطاهم العلاج الذي يدفعها، ويجعل العالم يعيش في أمن وأمان، ومن أهم الاخطار التي عالجها، فوضى العقائد والقيم الاخلاقية التي ينشأ عنها التطاحن والتباغض والتحارب والقتال، لقد كانت توجيهات الاسلام في هذا المجال توجيهات في منتهى الروعة، لو اتبعتها الإنسانية في سلوكها، لأمنت كثيرا من الشرور والاضرار.

### أحاديث نبوية توجيهية

فلنستمع الى هذه الاحداث الواردة عن الرسول المعصوم عليه السلام، والتي كانت رائعة في ايجازها وفصاحتها، لنزيد ايمانا بعظمة هذا النبي المبعوث رحمة للعالمين.

قال عليه السلام : الناس بزمانهم أشبهه. وقوله : ما هلك امرؤ عرف قدره، وقوله : لو تكاشفتهم ما تدافنتم، وقوله : السعيد من وعظ بغيره، وقوله : حبك للشيء يعمى ويصم. وقوله : العقل الوف مألوف، وقوله : اللهم إني أعوذ بك من طمع يهدى إلى طبع، وقوله : الصدقة جهد المقل. وقوله : اليد العليا خير من اليد السفلى. وقوله : ترك الشر صدقة. وقوله : الخير كثير، وقليل فاعله. وقوله : الناس كمعادن الذهب. وقوله : اذا اراد الله بعبد خيرا، جعل له واعظا من نفسه. وقوله : أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك. وقوله : لا تزال أمتي بخير، ما لم تر الأمانة مغنما، والصدقة مغرما. وقوله : اللهم أني أعوذ بك من علم لا ينفع، ونفس لا تشبع، وقلب لا يخشع، وعين لا تدمع. وقوله : الا أخبركم بشر عباد الله؟ الفظ المستكبر، الا أخبركم بخير عباد الله؟ الضعيف المستضعف، ذو الطمرين لا يؤبه له، لو أقسم على، الله لأبره" "وقد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليما، ولسانه صادقا، ونفسه مطمئة، وخليقته مستقيمة" "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" (ثلاث من كن فيه، استوجب الثواب، واستكمل الايمان: خلُق يعيش به في الناس، وورع يحجزه عن محارم الله، وحلم يرد به جهل الجاهل) (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا اوْتمن خان، واذا حدث كذب،

وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر (لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله اخوانا) (خيركم من لم يترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه)

ان هذه التوجيهات المحمدية وأمثالها، توجيهات نورانية، وإشراقات ربانية، ولقد جعلت كثيرا من المستشرقين والعلماء الغربيين يقفون أمامها مشدوهين، معترفين بصدق هذا الرسول الأمين، وصحة دعوته. فهذا (السير وليام موير) يقول في كتابه : سيرة محمد ﷺ : "امتاز محمد ﷺ بوضوح كلامه، ويسر دينه، وانه أتم من الاعمال ما يدهش الألباب، فلم يشهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس، وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير، كما فعل محمد ﷺ" ويقول الأستاذ (دراير Draper) في الجزء الثاني من مؤلفه "كان محمد متخلقا بتلك الأخلاق التي اذا اجتمعت في رجل واحد، أهلته لأن يكون ذلك الشخص الذي تتوقف عليه مقدرات العالم، لقد كان في وقت واحد نبيا وجنديا، وكان بليغا على المنبر، كما كان باسلا في ميدان القتال.

ان الرجوع لهذه التوجيهات النورانية، ضروري لانقاذ البشرية التي أصبحت تعطى كل اهتماماتها في هذا العصر الى العلوم المادية وتطبيقاتها على الحياة الانسانية، الأمر الذي نشأ عنه تضاعف مدهش في ميدان الاختراع والتقدم التقني، وانتكاس خطير في ميدان الاخلاق والروحانيات.

### الزكاة تقرّر مبدأ التكافل الاجتماعي

لم يهتم الاسلام بميدان الأخلاق والتربية فحسب، وإنما انصب اهتمامه كما ذكرنا على الميادين الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية أيضا، ففريضة الزكاة التي هي ركن أساس من أركان الاسلام الخمس، تعتبر مبدأ من مبادئ التكافل الاجتماعي، لم يوص به أي دين سبق الاسلام، والقرآن الكريم حينما يخاطب الرسول قائلًا: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم﴾ يأمر المسلمين بأداء واجبهم في الحفاظ على أداء هذه الصدقة التي تحقق لهم التكافل مع اخوانهم، وتطهرهم من أدران البخل والشح وحب الذات.

يقرر الاستاذ محمود أبو السعود في كتابه القيم "خطوط رئيسية في الاقتصاد الاسلامي، ان الحكمة الظاهرة من الزكاة هي: أولا تطهير نفس المسلم من شبهة إشراك المال بقدره الله سبحانه وتعالى، ومن احتمال استعباد المال له. ثانيا: فرض التكافل بين المسلمين، ويجاد نظام لاستمرار قيامه، والمعروف أن الاسلام قرر من مبادئ التكافل ما لم يرد في شريعة قبله، سماوية أو أرضية، ويكفي أن المسلمين جميعا، يسعى بذمتهم أدناهم، وأن إجارة المسلم، حق للعدو، تمسك على المستجير دمه وحقوقه، وتلزم المسلمين جميعاً، الا ان يحله من أجاره، وهذا التكافل العام، ينعكس على الناحية المادية.

لنستعرض آية مصارف الزكاة، لنجد حق الفقير، والمسكين، والعامل على الزكاة، والمكاتب، والمؤلف، وابن السبيل، والغارم، كل أولئك واجب حتم على المجتمع أن يكفلهم ويسد حاجتهم، وهذا الواجب الحتم جزء من العقيدة لا يتجزأ عنها، والتخلي عنه بمثابة الخروج على الدين والارتداد الى ما دونه، ثالثاً: تطهير المال ذاته، وهذا أمر متضمن في مدلول لفظ الزكاة، وليس المقصود من ذلك مجرد إحلال البركة في المال، حتى ينمو فحسب، بل ان الله سبحانه وتعالى يابى أن يكتنز المال، أو أن يحتجز، أو أن يظل دُوْلَةً بين الأغنياء وهدهم، لهذا اقتضت حكمة الزكاة، وجوب تناقص رأس المال المكتنز، ان كان في صورة نقود، وتلك حكمة بالغة، احتوت على مفتاح ما أغلق على الاقتصاديين جميعاً، ان هناك مبادئ إسلامية يقوم النظام الاقتصادي على أساسها، وتعتبر المنطلق الذي يجب أن تصحح على مقتضاها الأوضاع الاقتصادية في مجتمع الاسلام، فقول الرسول العظيم: "ان في المال حقاً سوى الزكاة" يعتبر مفتاحاً لفرض بعض الضرائب التي تدعو اليها ضرورة تطوير المجتمع الإسلامي وتحقيق مصالحه وقول الرسول: "من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه، فان أبى فليمسك أرضه".

ونهيهِ ﷺ عن المزبنة والمحاولة (كراء الأرض) توجيه في طريق الاصلاح الزراعي، يوكل تطبيقه الى

المختصين العارفين بالفن، والمطلعين على أسرار التشريع الاسلامي.

### مبادئ اسلامية في النظام الاقتصادي

يقول الأستاذ سميح عاطف الزين في كتابه :  
"الاسلام" "يقوم النظام الاقتصادي في الاسلام على أربع قواعد: (41) المال لله، قال الله تعالى : ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ (42) الجماعة مستخلفة فيه. قال الله تعالى ﴿وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ كنزه حرام. قال الله تعالى : ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم﴾ تداوله واجب. قال تعالى : ﴿كي لا يكون ذولةً بين الأغنياء منكم﴾ أي كي لا يقتصر على الأغنياء فقط.

ويتميز النظام الاسلامي عن النظام الديمقراطي، وعن النظام الاشتراكي الشيوعي، أن ملكية المال في الاسلام محددة بالكيف، وغير محددة بالكم. وفي النظام الديمقراطي الرأسمالي غير محددة بالكيف، وغير محددة بالكم. وفي النظام الاشتراكي الشيوعي محددة بالكم، وغير محددة بالكيف.

(41) الاسلام : خطوط عريضة عن : الاقتصاد - الحكم - الاجتماع.

(42) الثورة الاجتماعية في الاسلام.

## مزايا النظام الاسلامي في الاقتصاد

ويقول الاستاذ أبو السعود : في نظامنا الاسلامي سيتحرر الفرد من جبروت الحاكم، وستكفل له الحريات التي قررها الاسلام، وسيقاس الفرد بصلاحه وتقواه. لا بماله وجاهه، وسينطلق كل عامل إلى عمله في غير اجبار ولا إكراه، وسيعيش الأفراد جميعا في ظل الحكم الاسلامي والشريعة السمحاء، دون الحاجة الى فلسفة نظام الطبقات الشيوعي، أو إلى فكرة الديمقراطية اليونانية. ثم يقول : والنظام الاسلامي يعفينا من كل التعقيدات، ويعود بالدولة الى حدودها المرسومة، اذ يخلص الناس من شرور المال، ثم ينقل عن الامام ابن حزم، حقوق المسلم على الدولة فيقول : (1) للمسلم على الوالي (الدولة) حق المأكل والملبس والمشرب، فلا يجوز أن يجوع مسلم، أو يعرى، أو يعطش، وغيره يجد حاجته وزيادة (2) للمسلم حق التعلم، وعلى الدولة أن توفر له سبيل ذلك (3) للمسلم حق العمل كلما طلبه (4) على الدولة أن تحمي دم المسلم وماله وعرضه (5) الدولة مسؤولة عن توفير الدابة لانتقال أفرادها".

لقد أصبحت المشاكل الاقتصادية تشغل بال الرأي العالمي في هذا العصر أكثر من أي عصر مضى، وظهرت نظريات اقتصادية متباينة لمعالجة هذه الآفة الاجتماعية،



وجميعها يبحث عن تحقيق الرفاهية لبني الانسان، في عدالة حقيقية، ومساواة وحرية، ولكن المسلمين مع الأسف الشديد لازالوا منساقين مع التيارات الواردة عليهم من الغرب، خاضعين لنظمه الاقتصادية الربوية، غير باحثين عن نظامهم الاقتصادي الإسلامي الذي من شأنه اذا ما طبق التطبيق السليم، أن ينقذهم من تخلفهم وتبعيتهم، ويحتفظ لهم بامكانياتهم وذاتيتهم، ويحفظ لهم وجودهم المادي، اذا ما احتفظوا وناضلوا عن وجودهم الروحي والمعنوي.

### الاسلام والتنمية

إن مشاكل التنمية الاقتصادية، هي المشاكل التي تلاقي من اهتمامات المفكرين والمسؤولين اليوم الشيء الكثير، وأن الخروج من التخلف، والتغلب على الصعوبات، والاستفادة من الامكانيات والطاقات التي وهبها الله لبني الانسان، ليسعد الانسان ويتمتع الجميع بالرفاهية الضرورية، والعدل الاجتماعي، والمساواة في الحقوق، هو الموضوع الذي يشغل قادة الأمم النامية، ويدفعهم إلى البحث عن الطريق الذي يحقق لأممهم ما تطمح اليه من عدالة وحرية ومساواة. وإن الطريق الوحيد لعلاج آفة الفقر، والتغلب على مشاكل التنمية الاقتصادية، هو طريق الاسلام. فليست طرق الرأسمالية

ولا طرق الشيوعية، هما اللذان يحلان مشاكلنا في التنمية، وانما هي طريق الاسلام وحدها.

يقول الأستاذ المجتهد المرحوم علال الفاسي في بحث له تحت عنوان : الاسلام والتنمية في الاقتصاد الاسلامي :

"كان من الضروري أن يستجيب القدر للنداء الذي ظل يرتفع الى السماء من مختلف الشعوب، طلبا لعهد تتحقق فيه - الى جانب الاحكام الدينية - وسائل الانطلاقة المنشودة، والقضاء على تلك العوائق التي عدناها، والى جانب الايمان بالله والدار الآخرة، والاخاء بين الناس، والمساواة في الحقوق والواجبات، وحرية العمل والفكر، فقد جاء الاسلام بمذهب اقتصادي متعادل، قوامه العمل، وهدفه تحقيق العدل الاجتماعي :

1) فقد منع الاسترقاق في كل صورة من صورته المذكورة، ولم يبق منها بصفة موقنة مع الاعراب عن تشوفه لمحوها، الاحالة أساري الحرب، التي تقوم لاعلاء كلمة الله، وهكذا تقرر تحرير الانسان من امتلاك أخيه الانسان له، ولم يعد عمل الانسان في ميزان غيره، اذ ﴿وليس للانسان الا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى ثم يُجزأهُ الجزء الأوفى﴾ ومع بقاء هذه الحالة من الاسترقاق، فقد كانت معاملة الخدم حسنة الى درجة كبرى، ولم يعتد المسلمون في الغالب

استعمال خدمتهم في خدمة الأرض، وإنما كانوا يكلون اليهم خدمة البيوت وما أشبهها.

(2) وأعلن الإسلام منع الحمائية المعروفة عند العرب، وأحرى أن تحرم معها الفيودالية، وكل ضروب الاستغلال، وفي الحديث: لا حمى إلا حمى الله ورسوله، وفي الحديث الثاني، ألا وأن لكل ملك حمى، ألا وأن حمى الله في أرضه محارمه، فالحرمان الشرعية حلت محل الحمى الذي يضعه المملوك.

وعرف الإسلام ان في المعاملات التجارية وغيرها، ما هو حلال وما هو حرام؟ فوضع بذلك مبدأ الرقابة والتدخل الحكومي، والتوجيه في كل الأعمال المالية، ومنع الربا بكل أشكاله القديمة والحديثة، وذلك يعني عمليا، جعل الصيرفة بما فيها من صك النقود وخبزها، وخلق النقود الحسابية بيد الدول وحدها، حيث يختص بيت المال، ودار الضرب والصيرفة التي تخلق النقود الائتمانية. ونعى على الرهبان والأحبار كنز الذهب والفضة، وتوعد بالعقاب الشديد لكل من لا ينفق المال ويحتكره، وفي ذلك نزلت الآية الكريمة: ﴿يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾.

## الملكية في الاسلام

أما الملكية، فقد جعل منها الاسلام ملكية عامة، وملكية خاصة، فالأولى تشمل المواد الأساس، وهي الماء ويشمل المائعات والمرعى، وكذلك كل ما هو موزون والحطب، ويدخل فيه كل مواد الوقود ويشمل الغابات ويشمل كل المعادن، ولا مانع من أن يضاف اليها كل ما يرى المسلمون مصلحة في جعله ملكا عاما، كما فعل عمر بن الخطاب عام الرمادة.

والملكية الخاصة، وتشمل ما يحتاج إليه الانسان من مسكن وغذاء ولباس، وما اليها، وكل ما يكسبه الانسان بكده يمينه وعرق جبينه، أو يستحقه بميراث أو عطية، فهو ملك خاص له.

ولكن هذه الملكية الخاصة، ليست ذاتية للانسان، لان المالك الحقيقي هو الله، وكل مال فهو ملكه تعالى، سواء تمثل ذلك المال في سلعة اقتصادية، أو سلع حرة. وقد استخلف الله الانسان في الأرض، وأمره بالانتفاع بخيراتها، للوفاء بحاجاته وإصلاح معاشه على أن يكون انتفاعه متفقا مع مصلحة المجتمع الذي هو فيه، ومصلحة البشرية كلها على العموم، وهذه الخلافة في ملك المال، تبيح أن ينسب ملك المال الى افراد الخليقة، والى الجماعة كما قال تعالى : ﴿تبلون في أموالكم وأنفسكم﴾ ﴿ولا

توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيماً ﴿١﴾  
والغرض من هذا التكليف بتدبير مال الله والانتفاع به،  
حتى تصبح للملكية وظيفة اجتماعية، يظهر آثارها في  
تطبيق تكاليف إيجابية، أو جبهها الدين على الناس :

(1) وجوب استثمار المال اذا كان المال من مصادر  
الانتاج.

(2) الزكاة وغيرها من الأداءات التي تجب بحسب  
المصلحة.

(3) الانفاق في سبيل الله الالزامي في اصله،  
الاختياري في نطاقه.

(4) الانفاق في سبيل الله، بمعنى ترويح المال  
واستعماله في الخدمات العامة.

ويقول العلامة المدرسي في كتابه : "الاسلام ثورة  
اقتصادية" :

"ان الأنظمة الغربية صيغت لتعالج الواقع الغربي،  
بينما صيغت أو عدلت الانظمة الشرقية، لتلائم ظروف  
الشرق، واذا حولناها إلى انفسنا، نتيه فيها كما تاهت  
قبلنا أم كثيرة في الأرض، ارادت أن تقلد الآخرين،  
فسقطت جانبا، ثم يقول : اننا ندعو الى استنباط الحلول  
الصحيحة من مبادئنا الدينية التي لا تتطور لانها مبادئ

عامة ومطلقة، وموصى بها من قبل الله العليم. ثم الاهتداء بضوء التجارب التطبيقية لهذه المبادئ دون التقليد لها. ثم يقول: زعموا أن الإسلام - فقير الى مناهج في التنمية، بينما الإسلام - كما سيلاحظ خلال دراستنا هذه - أسير المناهج وأسرعها إنجازاً للتنمية من النظم المادية، لأن الإسلام يثير جميع الدوافع الانسانية: العاطفية والعقلية والروحية، ويوظفها في إشاعة الرخاء، كما يشرع للحياة الاجتماعية نظماً من شأنها ان تيسر عملية النمو الاقتصادي، ويسن للحياة النفسية مناهج تربوية، من شأنها إذابة العقد النفسية، والصفات الرذيلة التي تقف عقبة في طريق العمل الايجابي البناء".

### خاتمة

وبعد، فلم يكن من قصدي مطلقاً أن اتعرض في هذا البحث المستعجل لاستقصاء الجوانب التي تشهد بعظمة رسولنا الأمين سيدنا محمد ﷺ، وأن رسالته عليه الصلاة والسلام، رسالة عالمية خالدة، ولكني فقط، قصدت أن أشير الى بعض الجوانب المضيئة - وكلها جوانب مضيئة في رسالة رسول الإسلام، خصوصاً منها ما يتعلق بعظمة الإسلام، واستطاعته ان اتبعته تعاليمه أن يكون المجتمع الانساني المتعادل المتجاوب، وان توجيهاته ونظمه وتعاليمه كاملة، وفريدة، وممتازة، وخالدة، بالنسبة

لجميع النظم السابقة واللاحقة، وأن اصلاح الانسانية المعذبة، متوقف على اتباع النهج المستقيم الذي دعت إليه رسالة الرسول محمد عليه السلام، نظرا لانها اجتمع فيها ما تفرق في غيرها، ولانها حرصت الحرص كله، على أن يسود المجتمعات الإنسانية التكافل والتضامن والمساواة، ويعمها العدل، والرحمة، والانسانية، وانعدام الطبقية، وتعيش تحت الشعار الخالد "انما المومنون إخوة" وتحقق المبدأ الذي دعا إليه الرسول محمد عليه السلام حينما قال: "مثل المومنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، اذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".

إن التعمق في دراسة السيرة النبوية يكشف لنا عن كثير من الحقائق التي يجهلها مع الاسف الكثيرون من المسلمين، وعظمة رسالته الخالدة، لا تظهر واضحة المعالم، الا اذا تعمقنا شديد التعمق في سبر أغوار السيرة، واستضأنا بالقرآن الكريم، والأحاديث النبوية الصحيحة. وهناك ستنجلي عظمة هذا النبي الخاتم، الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وجعل رسالته خاتمة الرسالات السماوية، ويكفي أنه النور الذي سيبقى دائما مضيئا معالم الطريق للإنسانية، داعيا الى التوحيد والوحدة، عاملا على تأسيس مجتمع اسلامي مقام على أساس حرية الفرد والمساواة بين الناس، مجتمع لا طبقي

ولاعنصري ولا كافر، مجتمع يخدم المبادئ المثلى التي ترفض كل تمايز بين الناس الا بالتقوى والعمل الصالح. مجتمع يحقق أوامر الحق تعالى في أن الناس أمة واحدة، ﴿وان هذه أمتكم أمة واحدة﴾ مجتمع يقوم على التعاطف والتعاون والتكافل والسلام.

فاللهم آت سيدنا محمد الوسيلة والفضيلة، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، انك لا تخلف الميعاد. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، والحمد لله رب العالمين.

في 31 ماي 1977



## بعثة الرسول الأعظم، سيدنا محمد ﷺ غيرت الأفكار والتقاليد على نطاق البشرية كلها

من أجل أن ندرك ما أحدثته بعثة الرسول الأعظم، سيدنا محمد ﷺ من تغيير في الأفكار والتقاليد والتوجهات على نطاق البشرية كلها، لا بد أن نرجع للسيرة النبوية من جهة، وإلى ما كان عليه العرب في جاهليتهم إذ ذاك من جهة أخرى، سواء في مجال المعتقدات والمعاملات، أو في ميدان الأنظمة والتعامل مع الآخرين، أو في ميدان السلم والحرب، وفي أوقات الاتفاق، أو في أوقات الاختلاف.

لقد كان النظام القبلي، هو النظام السائد، وهو الذي تتجلى فيه مظاهر الائتلاف الاجتماعي، أو مظاهر التطاحن القبلي. كان حاكم القبيلة أو شيخها هو المتصرف المطلق، له الكلمة العليا، والقرار الواجب الاتباع، فهو السلطة التي لاتعصى، وقراراته هي القوانين التي لا تستعصى، وكانت الأعراف الجاهلية واجبة

الاتباع، لا يصوغ لأي كان أن يحيد عنها، مهما كانت الدوافع، وشيخ القبيلة أو حاكمها، هو الساهر على تطبيق تلك الأعراف، فالتقاليد هي المتحكمة، والنظام المتبع كان نظاماً بدائياً، يقوم على رابطة القرابة التي تتجمع في عشائر وقبائل، كانوا منعزلين في غالبيتهم عن غيرهم انعزالا كلياً. وهذا الانعزال الذي كانوا يعيشون فيه، جعلهم لا يشعرون بأي واجب أو ولاء لأية جماعة أو دولة غير القبيلة، وربى فيهم الانكماش وروح الفردية، كانوا يرتكبون بعض الأعمال المتنافية كل التنافي مع الفكر الحضاري، فهم يكذبون ويسرقون، وقد يقتلون غيرهم دون أدنى مضاضة، كانوا يتعاطون الخمر، ويتجرون في نسائهم ولا يتأثرون، ويدفنون بناتهم أحياء، ولا يستحون. كان خمسة أسداس السكان بدواً رحلاً، يشتغلون بالرعي، وينتقلون بقطعانهم من مرعى إلى مرعى، باحثين عن النبات حيثما وجدوه، وكانت القبيلة منهم تشتغل بالتجارة، وبعضهم مولعاً بنظم الأشعار، معتزلاً كل الاعتزاز بلسانه العربي الفصيح، ينظم القصيدة الطنانة في الفخر والاعتزاز بالأنساب، وتعداد فضائل الأجداد، ويبالغ في هجو أعدائه، والدعوة إلى قتالهم ومحاربتهم، لم يكن لديهم علماء ولا باحثون مثل ما كان عند غيرهم من بعض الأمم، كمصر، والهند، وفارس، واليونان، ولولا أشعارهم التي خلدت في المعلقات،

وقصائدهم التي سموها بالمذهبات، لأنها كانت تكتب بحروف براقية ومذهبة، ويحتفظ بها في خزائن شيوخهم الكبار، وأمرائهم المرموقين، لولا ذلك ما عرفنا شيئاً من تراثهم الأدبي الخالد. ومن ناحية معتقداتهم كانوا يعبدون أصناماً وأوثاناً، جعلوا بعضها في الكعبة المشرفة، وبعضها خارجها، ومن جملتها ما ذكر في القرآن الكريم، مثل اللات، والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، ومن أشرف القبائل التي كانت لديهم، قبيلة قريش، التي كانت تضم فئتين متنافستين : بنو هاشم وبنو أمية.

ومن بني هاشم جاء المبعوث بالحق، ورسول رب العالمين، سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، صلوات الله وسلامه عليه وعلى الأنبياء والمرسلين. لقد جاء المبعوث بالحق، بديانة إلهية ربانية خالدة، غيرت معالم الإنسانية، وأعطت للدنيا والخلائق شريعة مثالية، لم يسبق أن ظفرت البشرية بمثلها، لأنها اهتمت بمصالح العباد في دنياهم وآخرتهم، ولأنها غيرت المفاهيم التي كانت سائدة في المعمور، لا في البلاد العربية وحدها؛ مفاهيم دينية، ومفاهيم دنيوية، فالأولى تتعلق بالعقيدة والأخلاق والسلوك والروحانيات، والثانية تتعلق بالأنظمة التي يجب أن تسير عليها الإنسانية، سواء أكانت تتعلق بالنظام السياسي، أم بالنظام السلمي والحربي.

جاء محمد عليه السلام برسالة خالدة من ربه، يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم، وليصحح عقيدتهم التي زاغت عن الطريق السوي المستقيم، وليقول لهم باللسان العربي المبين: إن الإيمان بالله خالق الأكوان وبارئها، هو مفتاح كل خير، وهو أصل كل الأصول في الأديان السماوية السابقة، من لدن آدم ونوح ومن أتى بعدهم من الرسل الكرام، إلى الدعوة التي أمر بدعوتهم إليها، لينقذهم من الضلال الذي هم فيه يعمهون، وليعرفهم حقيقة الإيمان الحق، الذي عن طريقه يهتدون، وليبشروهم وينذرهم، يبشروهم بالنجاة والفلاح إن آمنوا واستقاموا على الطريق، وينذرهم بالعقاب والنار والخذلان، إن استمروا في كفرهم وجاهليتهم وانحرفهم عن جادة الاستقامة التي أمروا بالسير في طريقها. ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾، ﴿يا أيها المدثر، قم فأندِر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر، ولا تمنن تستكثر، ولربك فاصبر﴾، ﴿وكذلك أوحينا إليك نوراً من أمرنا، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا، وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض، ألا إلى الله تصير الأمور﴾. لقد أرسل الله سيدنا محمداً مبعوثاً

إلى الناس كافة، لا للعرب وحدهم ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾.

كانت البشرية كلها في حاجة إلى من يهديها سواء السبيل، كان الناس منذ أقدم العصور، بحكم الفطرة التي فطرهم الله عليها، يتطلعون إلى منقذ، يشعرون من ذات أنفسهم أنهم لابد لهم من قوة قاهرة قادرة يخضعون لها، ويعبدونها ويستلهمون منها العون والقوة، وتدفع عنهم الشر، وتعدهم بالخير، ومن هنا جاءت عبادتهم للشمس، والقمر، والشُّعرى، والنار، والأصنام، وما شاكل ذلك من المعبودات التي خضع لها بعض بني الإنسان، لأنهم رأوا فيها بعض القوة، كالنار مثلاً، أو بعض الإمداد، كالشمس والقمر، ومن هنا كان لابد من إرجاعهم إلى حقيقة المعبود بحق، هو الله سبحانه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وبحقيقة التوحيد، أتى الأنبياء والمرسلون، وبالدعوة إلى عبادة المستحق لها وهو الخالق المعبود بحق، الذي جاء به خاتم المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، والذي نصت عليه الآية القرآنية في سورة الشورى التي قالت: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك، وما وصىنا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه﴾. فدين الله واحد، هو دين الإسلام ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾،

وبه أتى الأنبياء السابقون، وبه أتى سيد البشر الذي بعثه الله ليهدي القلوب الحائرة، والعقول الزائفة، ليبين لها حقيقة الربانية، ويدعوها إلى الإيمان الحق بالله العلي الأعلى، الواحد الأحد، الذي لا يقبل الشريك، والذي اختص وحده بالعبادة، والذي تُستمدُّ منه وحده الإعانة ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

لقد دعا محمد عليه السلام إلى الإيمان الحق بالله لا شريك له ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾. فدعوة محمد ﷺ لا تتنكر لدعوات الأنبياء والرسل السابقين، ولكنها مؤيدة لها في الحقيقة الإيمانية، ومكملة و متممة لها في الشرائع والأحكام التي صار يتطلبها تقدم البشرية، فهي ليست بدعاً في دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿قل ما كنتُ بدعاً من الرسل وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم، إن أتبع إلا ما يوحى إلي، وما أنا إلا نذير مبين﴾. . دعوة محمد عليه السلام عملت على تطهير الأفكار من الخرافات والأوهام، وأوضحت لذوي العقول والأفهام، أنه لا يجوز أن يعبد غير الله الواحد الأحد، وأزالت من الطريق الشكوك والأوهام، وأيقظت العقول من غفواتها، ودعت الخلائق إلى النظر إلى ما في السماوات وما في

الأرض ﴿سُنُّرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾، ليصبح إيمانها عن اقتناع، لا عن تقليد، وعن يقين لا عن شك. ومن هنا كان الإسلام يدعو إلى استعمال العقل والفكر، ليكون الإيمان عن يقين، ولتتمكن العقيدة من النفوس، فلا يدخلها ريب أبداً، الأمر الذي جعل الإسلام إذا دخل إلى القلوب لا يخرج منها أبداً، مهما حاول المحاولون، ودسّ الدساسون، ومكر الماكرون، ومن هنا أيضاً قال المفكرون المسلمون: (إن إصلاح عقل الإنسان، هو أساس إصلاح جميع خصاله، ويجيء بعده الاشتغال بإصلاح أعماله، وعلى هذين الإصلاحين مدار قوانين المجتمع الإسلامي).

والعقل في التعبير القرآني يقع باسم القلب، ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي بعقل سليم، وهو ما أشار إليه الحديث الشريف الذي رواه أبو عمرو الثقفي قال: "قلت يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: قل، آمنت بالله ثم استقم". فهذا الحديث الشريف لخص دعوة الإسلام في كلمتين: الإيمان بالله والاستقامة على الطريق، فالإيمان بالله هو الأساس، وهو جوهر الدعوة الإسلامية، والاستقامة أي العمل الصالح، هو دعوة الرسل الكرام، وهو نتيجة الإيمان الحق، وما ذكر الإيمان في القرآن إلا وذكر معه العمل الصالح. والإسلام اهتم كل الاهتمام أولاً وبالذات، بتصحيح العقيدة، أي الإيمان بالله وبما أتى به رسول الله،

فتصحيح العقيدة وإصلاحها، من أول ما يجب الاهتمام به، طبقاً لتعاليم الإسلام، فكان واجب المسلمين أولاً، الاهتمام بقضية العقيدة بالنسبة لأبنائهم، وتصحيح العقيدة يقتضي الإيمان بالله، وبرسوله، وكتبه، وباليوم الآخر، إيماناً لا يشوبه شك ولا ارتياب. ولا يكفي أن يقول القائل إنه يؤمن بالله، دون الإيمان بالرسول، والكتب، واليوم الآخر. ومن هنا نرى أن الكثير من المسلمين، أغفلوا هذا في تربية أبنائهم، إلا من رحم ربك، فإيضاح معنى الإيمان للأبناء ولسائر المسلمين، من أؤكد الواجبات على الأولياء والمسؤولين عن الأجيال ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان، ألحقنا بهم ذرياتهم، وما ألتناهم من عملهم من شيء، كل امرئ بما كسب رهين﴾. والإيمان بالله لا يقبل أن يكون بمحض التقليد، كما نص على ذلك الإمام الأشعري، وهو ما أشار إليه عبد الواحد بن عاشر في منظومته، حيث قال: "أولُ واجب على من كُلفاً: مُمكنًا من نظر أن يعرفا: الله والرسلَ بالصفَاتِ: مما عليها نَصَبَ الآياتِ". والاستقامة على الطريق تقتضي تزكية النفس، وتطهيرها من كثير من الأدران التي تعوقها عن الأعمال الصالحات، وتدفعها إلى عمل الخير، والإحسان إلى الخلق أجمعين. فالرسول وصَّانا بكثير من الوصايا لنسير في طريق الإحسان والعمل الصالح ﴿لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما



يحب لنفسه ﴿﴾ ﴿﴾ ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ﴿﴾، فإذا تخلى الناس عن أنانيتهم وأحبوا لإخوانهم ما يحبونه لأنفسهم، وإذا تراحموا مع بعضهم بعضاً، فإن المجتمع الإنساني يتبدل ظهراً على عقب، فتضمحلّ الحزازات والأحقاد والمظالم، ويتراحم الناس مع بعضهم بعضاً طبق ما يريده الإسلام، ولقد كان الرسول الأعظم مثلاً واضحاً لتطبيق مكارم الأخلاق والوصايا التي أمر بها، وكان السلف الصالح من الصحابة الذين رباهم وكونهم، أمثلة صالحة لما ينبغي أن تتلاءم بسببه المجتمعات، ﴿﴾ ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة). ونظرة سريعة في بعض الآيات التي تصف المؤمنين الذين رباهم وكون منهم المجتمع الإسلامي الأول، تعطينا الدليل على أنهم كانوا من أعلى الناس وأصفاهم قلوباً وأخلاقاً، وأنهم كانوا يعيشون عملياً الأخلاق التي جاء بها سيد الخلق عليه السلام، وحضت عليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. فلننصت إلى بعض الآيات التي وصف الله بها المؤمنين الصادقين، ولنتأملها فهي تعطينا صورة واضحة حقيقية عن الأخلاق والصفات التي كانوا يتصفون بها، والتي سادت المجتمع الأول للمسلمين الذي صنعه رسول الله ﷺ، وأراد عليه السلام أن يبقى نموذجاً حياً لما ينبغي أن تتصف به المجتمعات التي تنتمي لسيد البشر أجمعين.

يقول الله تبارك وتعالى في سورة الأنفال : ﴿ إِنَّمَا  
المؤمنون الذين إذا ذكر الله وَجِلَتْ قلوبهم، وإذا تُلِيَتْ  
عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون، الذين  
يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون  
حقاً ﴾ ويقول في سورة المزمل ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ  
أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ  
مَعَكَ ﴾، ويقول في سورة الأحزاب ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ  
صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾، ويقول في سورة التوبة  
﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ  
اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾، ويقول  
في سورة الأحزاب ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ  
وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ، وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ،  
وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ، وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ،  
وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ، وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ،  
وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ، وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا  
وَالذَّاكِرَاتِ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾. ويقول  
في سورة الحديد ﴿ إِنَّ الْمُسَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَبُوا  
اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا يَضَاعَفُ لَهُمْ، وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾، ويقول  
في سورة التوبة ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ  
بَعْضٍ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُقِيمُونَ  
الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، أُولَئِكَ  
سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾، ويقول في سورة التوبة أيضاً : ﴿ لَكِن

الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، وأولئك لهم الخيرات، وأولئك هم المفلحون ﴿١﴾، ويقول في سورة التوبة كذلك: ﴿٢﴾ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴿٣﴾. ويقول في سورة التوبة: ﴿٤﴾ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴿٥﴾. ويقول في سورة المومنون: ﴿٦﴾ قد أفلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون، الآية

هذه بعض الصفات التي وصف الله سبحانه بها أصحاب محمد الصادقون، الذين تكون منهم المجتمع الأول للإسلام، وتكونت منه أمة سيدنا رسول الله سيد الأنام، لا بد لنا أن نتأملها، ونحن نعقد ندوة تتعلق بسيرة رسول الله الذي جعله الله لنا أسوة صالحة، لنأخذ العبرة منها إن أردنا أن يكون احتفالنا بالرسول، ودراسة سيرته، ذا فائدة تعود علينا، وعلى مجتمعنا بالخير والصلاح، فالظروف التي يعيشها المسلمون في أنحاء المعمور، تحتم عليهم أن يراجعوا أنفسهم، ويزنوها بميزان سيرة أصحاب رسول الله، إن كانوا حقاً ينتمون إلى هذا النبي العظيم الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وجعل رسالته خالدة خلود الكتاب الذي أنزله الله هدى للمتقين.

لقد كان سيدنا محمد رسول الله ﷺ المثل الكامل للإنسانية، وكان المثل الأعلى في الأخلاق والنشاط

والقوة، والحيوية، وإسداء المعروف والتضحية، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبادة الله حق عبادته. لم يدعُ إلى صفة من صفات الخير، إلا اتصف بها وعاشها، ولم ينه عن خلق قبيح، إلا وكان بعيداً عنه. أتى بشريعة صالحة لكل زمان ومكان، وتكفل الله بحفظ الدستور القرآني الذي نزل عليه، فبقيت وستبقى آياته تُتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وستبقى إمداداته وتعاليمه ووصاياه نابضة، يرجع إليها ويستفيد منها من أراد الله به الخير والفلاح في هذه الحياة الدنيا، وفي الحياة الأخرى، وستبقى كلمة الله هي العليا، ودين الإسلام هو الأسمى، مهما تآمر المتآمرون، وحارب المحاربون ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾. وسيبقى اسمه يرنُّ في الآذان، وعظمته في منطق كل إنسان، وأثره في الإنسانية أثر خالد خلود رسالته الصادقة، ويشهد له بالعظمة والخلود العظماء من المفكرين، وإن لم يدينوا بدينه، ولم يسعدهم الله باتباع دعوته.

يقول المؤرخ الأمريكي "ول ديورانت" صاحب كتاب (قصة الحضارة)، : (وإذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس، قلنا إن محمداً كان من أعظم

عظماء التاريخ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب أَلقت به في دياجير الهمجية، حرارة الجو، وجذب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقلّ أن تجد إنساناً غيره حقّق كل ما كان يحلم به، وقد وصل إلى ما كان يبتغيه عن طريق الدين، ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه كان شديد التمسك بالدين وكفى، بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين تدفع العرب في أيامها إلى سلوك ذلك الطريق الذي سلكوه، فقد لجأ إلى خيالهم، وإلى مخاوفهم وآمالهم، وخاطبهم على قدر عقولهم، وكانت بلاد العرب لما بدأ الدعوة، صحراء جُدباء تسكنها قبائل من عبدة الأوثان، قليل عددها، متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته، أمّة موحدة متماسكة، وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية، ودين بلاده القديم، ديناً سهلاً واضحاً قوياً، وصرحاً خلقياً، قوامه البسالة، والعزة القومية، واستطاع في جيل واحد، أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة، وأن يبقى إلى يومنا هذا، قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم).

لبث رسول الله ﷺ في مكة يدعو الناس إلى التوحيد، والإيمان، وإصلاح العقيدة، وتكوين الأفراد التكوين الإسلامي الصحيح، نحواً من ثلاث عشرة سنة،

لاقى فيها من المتاعب، والمقاومة، والإصرار على الكفر، ما لا يستطيع أن يصبر عليه إلا الصابرون الأشداء، ذوو الرسالة الخالدة في الحياة، فلقد كذبوه وقاوموا العقيدة التي أتى بها، بكل ما أمكنهم من الأذى والبهتان، ولقد رموه بالحجارة حتى دمت كعباه، ولقد أذاعوا ضدهُ الأقاويل والأكاذيب، فقالوا إنه ساحر، وإنه كذاب، وإنه كاهن، وإنه شاعر، وإنه يطلب الملك والرياسة، ويسعى إليهما، ولما لم يكفهم كل هذا قرروا مقاطعته هو ومن آمن به، فصاروا لا يكلمونه هو والزمرة من المومنين الذين آمنوا به وصدّقوه واتبعوا النور الذي أنزل معه، صاروا لا يكلمونهم، ولا يبيعون ولا يشترون منهم، وعلقوا صحيفة في الكعبة أكدوا فيها كل التأكيد على عدم التعامل معه هو وأصحابه، إلى أن يهلكوه بالجوع والحرمان من كل مشترى كيفما كان نوعه، وبقوا مصرين على مقاطعتهم الأيام، والشهور، والأعوام، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وعلموا أن لا ملجأ من الله إلا إليه. كل هذا فعلوه برسول الله والسابقين الأولين من المؤمنين، لأنه دعاهم إلى الله وإلى الحق، فأبوه معرضين قائلين: ﴿وقالوا قلوبنا في أكنةٍ مما تدعونا إليه، وفي آذاننا وقْرٌ ومن بيننا وبينك حجابٌ﴾، ولقد صاروا يساومونه في الدعوة التي أتى بها، فعرضوا عليه الأموال والجاه والنفوذ، ليتخلى عن دعوته في تسفيه آلهتهم، وتكذيب

معتقداتهم، والاستهزاء بأصنامهم، فأجابهم ﷺ قائلاً :  
والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري،  
على أن أترك هذا الأمر، أو أهلك دونه ما تركته". لقد  
كان عليه السلام مدرراً كل الإدراك، ومتيقناً كل اليقين،  
أن الذي بعثه بالحق، وأرسله إلى الخلق، لا بد أن ينصره  
ويؤيده، ويجعل كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا  
السفلى، وأن النصر الذي وعده الله به سيتحقق، ولو كره  
الكافرون والمشركون.

لقد كان عليه السلام مومناً برسالته التي حمّله الله  
إياها، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن  
الضلال إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان، وكان مدرراً  
كل الإدراك، أن الأفكار والعقائد الإصلاحية التي أتى  
بها، لا بد أن تلاقي الرفض والقطيعة في الأول، ولكنها  
ستنتصر وتعم الآفاق، ولا يهتدي بهديها المكيون  
والعرب المحيطون بهم، فحسب، ولكنها ستلاقي النجاح  
في مختلف الأقطار والأنحاء، لأنه مبعوث من ربه إلى  
الناس كافة، ولأن الإصلاحات العقيدية والتشريعية التي  
أتى بها، تنتظرها البشرية كلها، ولأن العالم الإنساني كله  
يئن من الجور، والظلم، والجحود، والكفر، ولا منقذ له  
إلا الرسالة التي أتى بها من ربه. إن المشركين في مكة إذاً  
قاوموا دعوته بكل وسيلة كانت لديهم، فإنه بالرغم عن  
ذلك استطاع بمعونة من ربه، أن يهدي ويربي ويكوّن

زمرة صالحة قوية من المؤمنين الصادقين، عرفت طريقها الصحيح، بفضل الإيمان الذي اهتمت به، وتشربت نفوسها حقيقة المبادئ التي أتى بها رسول الله ﷺ، وأنها مهياة التهيئ الصحيح، لتكون بجانب هذه الدعوة التي يدعو إليها الرسول الأمين، تفديها بالأرواح والأموال، وتقف معها في كل الظروف والأحوال. لقد كان رسول الله ﷺ ينتظر الخطوة الثانية والحاسمة للقضاء على مجتمع الكفر، والجحود، والطغيان، وإقامة مجتمع العدل والمساواة والحرية والإخاء والإحسان.

إن إقامة المجتمع الفاضل الذي تتوق إليه الإنسانية، لا بد له من دولة تحميه وتذود عنه، وتحكمه بالشرائع والقوانين التي تستمد جذورها من السماء، من رب العالمين الذي أرسل الرسول ليبين للناس ما أنزل إليهم، وليحكم بينهم. بما أنزل الله، وليقيم أسس العدل والاستقامة، وليؤلف بين الناس على أساس التقوى، والإخاء، والمحبة، والتعاون على الخير. لا على أساس العصبية، والقبلية، والجاهلية، والتفاخر بالأنساب والأحساب والأعراق، فهو عليه السلام لم يرسله الله رسولا لجنس دون جنس، ولا لقوم دون قوم، ولا لوطن دون وطن، ولكنه أرسل إلى الناس كافة، على اختلاف أجناسهم وأعراقهم ولغاتهم، ليربط أواصر الأخوة فيما بينهم على اختلاف أجناسهم، وألوانهم، ولغاتهم،



ووطنياتهم، إذ كلهم من آدم، لا فرق بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح، فجامعتهم هي جامعة الدين الذي جاء به الرسول الأمين، وهي جامعة الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فالرابطة الدينية الإسلامية، هي الرابطة المقدسة التي جعل الله بسببها أمة الإسلام أمة واحدة، تجمعها وحدة الاعتقاد والاتجاه نحو العمل الصالح، ويرمز إليها الشعار الخالد الذي جعله الله المفتاح الوحيد للانخراط في أمة الإسلام (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) ؛ هذا الشعار هو الذي سيوحّد الإنسانية، لتسير في طريق الحق والخير والتوحيد. فلا بقاء لدعوى الجاهلية في دولة الإسلام و(ليس منا من دعا بدعوة الجاهلية) كما قال عليه السلام.

إنه لا يكفي أن يكون بجانب سيدنا رسول الله ﷺ، فئة مومنة صادقة، تعمل صادقة على الوقوف بجانب دعوة رسول الله، ولكن لابد من قيام دولة الإسلام، لتحمي ديار المسلمين، وتنشر مبادئ الفضيلة التي أتى بها القرآن، وترفع راية الإسلام الداعية إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

لبث رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة، يهيب العقول والقلوب والأفكار، ويثبت العقيدة الإيمانية في النفوس، ويربي الصادقين الأولين من الأصحاب على الأخلاق

الحسنة، والمبادئ المثلى، والثبات والصبر، حتى أذن الله له بالهجرة إلى المدينة، وكان أن سبقه إليها بعض أصحابه المهاجرين، وكانت الدعوة الإسلامية انتشرت فيها بين الأنصار، الذين آووا الرسول وعزروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون.

كان أول عمل قام به عليه السلام في اتجاه الإصلاحات الاجتماعية العملية، هو إيجاد المجتمع الإسلامي، الذي ستتجلى فيه الشخصية الإسلامية الموحدة، التي ستبقى دائماً المثال الذي يجب أن تتأسس على ضوئه المجتمعات الإسلامية على مرّ الدهور والأعوام، فلقد صارت المدينة يومئذ مقراً صالحاً، تحوي بين جناتها أفضل قوم أظهرهم الله على وجه الأرض بشهادة قول الله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾، سواء منهم المهاجرون أو الأنصار، لأنهم تحلوا عملياً بالفضائل التي أتى بها الإسلام، وأصبحوا أمثلة صالحة، ونماذج حية ناطقة، تعطي الصورة العملية لمعتنقي الدين الذي أتى به نبي الإسلام.

وإذا كان المجتمع يتكون من أفراد وإذا كان الأفراد يأتون من قبائل مختلفة، ولربما من أجناس متباينة، قد لا يشعر أفرادها باتصال وثيق فيما بينهم، ولربما ينظرون إلى بعضهم بعضاً نظرات لا تتلاءم التلاؤم الكلي مع الروابط

والأخلاق التي أتى بها الإسلام، والتي انمحت معها روابط العصبية والقومية والسلالية، فإن الرسول قرر أن يشعروا أن الرابطة التي أتى بها، والتي تربط المسلم مع المسلم، هي رابطة الأخوة في الدين، رابطة يشعر معها كل مسلم، أنه باعتناقه الإسلام، أصبح أخاً حقيقياً لكل مسلم في أنحاء المعمور، وأخوته مع أخيه بسبب العقيدة لا تدانيها أية أخوة، ولو كانت أخوة النسب، وهكذا يشعر المسلم أنه في مجتمع سليم رفيع، لا يتلاقى فيه إلا مع إخوة صادقين، جاعلين يدهم في يده، للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر مبادئ الخير والإحسان بين الأنام، وجاء الحديث الشريف ليؤكد أن إيمان المومن لا يكون إيماناً حقيقياً حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وهكذا صار رسول الله يركز على هذه الأخوة بالصورة العملية، فأخى بين المهاجرين والأنصار، وأكد بنص القرآن، أن المؤمنين إخوة، وقال في الحديث الشريف "لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام أفضل".

هذه الأخوة الإسلامية التي ثبت أركانها الإسلام ، هي التي حيّرت أذهان المفكرين والباحثين من الغربيين وغير الغربيين، فلم يسجل التاريخ لها نظيراً في أي دين من الأديان، لأنها جزء من الإيمان، ولأنها بقيت راسخة في كيان كل مسلم على توالي السنين والأعوام، بحيث إذا

ما تلاقى المسلم السعودي مع المصري والمغربي والأندونيسي، والأسوي مع الإفريقي، لا يشعر أنه تلاقى مع غريب أو بعيد، فيكفي أن يسمع أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، حتى ترتاح نفسه، ويطمئن ضميره، ويشعر في قرارة نفسه، أنه التقى مع أخ حقيقي له، يبادل له السراء والضراء، ويتضامن معه في الشدة والرخاء، مصداقاً لما نطق به الذي لا ينطق عن هوى عليه السلام: "تجد المسلمين في تراحمهم وتوادهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".

لقد اعتنقت الإسلام أمم مختلفة، ودخلت في دين الله شعوب متباينة، سحناتها مختلفة، ولغاتها متعددة، فيها الأبيض، والأسمر، والأسود، وفيها العربي، والتركي والفرسي، والبربري، والهندي، والصيني، والزنجي، والرومي والأمريكي، والأوروبي، ولكن الجميع أصبح بعد اعتناقه للإسلام، يشعر أنه أخ لجميع من يوجد في تلك الأقطار من المسلمين، رغم بعد المسافات، وعدم التعارف، بل حتى عدم التفاهم أصلاً، فما سر ذلك؟، إن سره يرجع إلى أن أخوة العقيدة لاتعادلها أية أخوة، ولا توصل لها أية رابطة غير رابطة الإسلام، ومن هنا رأينا أن المعاول من هنا وهناك تعمل جاهدة على تحطيم هذه الأخوة، والقضاء على هذه الرابطة، وإبدالها بروابط

مزيفة لا تنفذ مهما تقوّت، إلى عمق الضمائر، ولا تسكن  
مهما بذلت، حبات القلوب.

رابطة الإسلام هي التي أغاظت المستعمرين، سواء  
منهم مستعمرو الديار، أو مستعمرو الأفكار، فصارو  
يبدلون جهودهم لإضعافها والقضاء عليها، محاولين أن  
يستبدلوها بروابط دخيلة، لا تنفذ إلى الأعماق، ولا  
تصمد أمام تغييرات الأحداث.

هذه الرابطة الدينية، والأخوة الإسلامية، كانتا  
المنطلق الأول للدعوة الإسلامية، عن طريقهما توضحت  
معالم المبادئ الإسلامية الداعية إلى الحق، والعدل، والمساواة،  
والحرية، والسلام، وبسببهما انتشرت المبادئ الإسلامية  
في ربع الدنيا، خلال نصف قرن من الزمان، فأصبحت  
كلمة التوحيد، تعلقو المنابر والمآذن، وأصبح اسم محمد  
عليه السلام يرنُّ في الآذان، وأصبح المومنون في جميع  
أنحاء المعمور، إذا ما تنقلوا هنا وهناك من البلدان  
الإسلامية، واستقروا فيها، يشعرون أنهم في وطنهم  
الكبير، لا يفصلهم ولا يفرقهم عن إخوانهم مواطني ذلك  
البلد، أي فارق، يتمتعون بجميع ما يتمتع به المواطنون  
الأصليون من حقوق، ويؤدون واجباتهم نحو وطنهم  
الجديد مثل ما يؤديها الساكنون الأصلاء. ومن هنا يتضح  
للجميع أن الإسلام ليس دين فئة خاصة، أو شعب

خاص، ولكنه دين عالمي ودولي، وأن ما نطقت به الآية الكريمة عند ما قررت أن الرسول مبعوث إلى الناس كافة، قد تحقق عملياً خلال فترة قصيرة من الزمان إنا أرسلناك كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿١﴾.

بعد استقرار الرسول عليه السلام في المدينة، وتركيز روح الأخوة بين المومنين، صار يتكوّن مجتمع جديد، لم يسبق أن عاشه ولا أن رآه، لا المكّيون، ولا المدنيون، مجتمع يسير ويتكون طبق المبادئ التي أتى بها القرآن، وحض عليها رسول البشرية أولاً، وخطط لتطبيقها ووضّح أصولها في حياته، ثم صار يطبقها بالتفصيل الخلفاء الراشدون ومن بعدهم. ومن تلك المبادئ تكوّنت أول دولة إسلامية، دستورها القرآن، وحاكمها محمد ﷺ وخلفاؤه من بعده. ومن تلك المبادئ مبدأ الشورى، ومبدأ تنصيب من يتولى أمر المسلمين الذي أطلق عليه خليفة رسول الله بعد وفاة النبي ﷺ، ثم أطلق عليه أمير المومنين، أو إمام المسلمين، أي رئيس دولة المسلمين، الذي يعتبر مسؤولاً عنهم، حامياً لحماهم، مدافعاً عن عقيدتهم ووطنهم، مقيماً لحدود الله كما أمر الله، عاملاً على تنظيم المجتمع الإسلامي طبق ما يريده الإسلام، سواء في مجال التشريع والقضاء، أو ميادين الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي، أو في ميدان السلم أو ميدان الحرب، أو غير ذلك. ونظراً لأن المجتمع لم يكن

جميعه يدين بالإسلام، عندما حل رسول الله بالمدينة، فلقد رأى عليه السلام أن ينظم ويرتب العلاقات بين المسلمين على اختلاف قبائلهم، وبين اليهود الموجودين بالمدينة على اختلاف قبائلهم ونحلهم، فكانت الوثيقة التاريخية العظيمة، التي لم يسبق أن رأى العالم مثلها، بل لم يُر مثلها إلا أوائل القرن العشرين عندما تأسست عصبة الأمم، ثم بعد تأسيس هيئة الأمم المتحدة.

لقد قرر عليه السلام أن يُكْتَبَ ميثاقٌ أو عهد بين المسلمين من جهة، وبين اليهود من جهة أخرى، قال عنه المؤرخ (ول ديوانت) الأمريكي في موسوعة قصة الحضارة، إنه ينمُّ عن مهارة سياسية كبيرة، وقال عنه الدكتور عبد الرحمان عزام في كتابه "الرسالة الخالدة" إنه (من أنفس العقود الدولية وأمتعها وأحقها بالنظر والتقدير من الناس كافة، وأولاها بأن تكون نبراساً للمسلمين في أصول العلاقات الدولية بينهم وبين مخالفينهم من أهل الأديان الأخرى).

وإذا كان الوقت لا يسمح باستعراض نص هذه الوثيقة التاريخية كاملة، فلأشر إلى أنها عهدٌ خطه رسول الله ﷺ يوضح التعامل الذي يجب أن يكون بين المسلمين واليهود، الساكنين في المدينة، سواء في أوقات السلم والأمان، أو عندما يتعرض جانب منهم لأي

عدوان، كما ينصّ على أن كلا من الجانبين، يتمتع بسيادته الخاصة على قومه، وبحرية دعوته الدينية.

لقد جاء في مطلع هذا الميثاق، مايلي : (بسم الله الرحمان الرحيم هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله ﷺ) بين المومنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربّعتهم (أمرهم) يتعاقلون (ياخذون ديات القتلى ويعطونها) بينهم، وهم يفتدون عافيتهم (أسيرهم) بالمعروف والقسط بين المومنين)، ثم يذكر في الميثاق أسماء القبائل الملتزمة بهذا الميثاق، ويأتي في البند الثالث عشر : (وإن المومنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة (الدسع الدفع) ظلماً أو إثماً أو عدواناً أو فساداً بين المومنين، وأن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم. ثم يقول الميثاق : (ولا يقتل مومن مومنأ في كافر، ولا ينصر كافرأ على مومن، وأن ذمة الله واحدة، يجبرهم عليهم أذناهم، وأن المومنين بعضهم موالى بعض دون الناس، وأنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وأن سلم المومنين واحدة، لا يسالم مومن دون مومن في قتال في سبيل الله إلا على سواءٍ وعدلٍ بينهم، وأنه لا يحل لمومن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثاً أو يؤوله، وأنه من نصره أو آواه، فإن عليه



لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرفٌ ولا من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرفٌ ولا عدلٌ، وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردّه إلى الله وإلى محمد، وأن اليهود يُنفقون مع المومنين ماداموا محاربين، وأن يهود بني عوف أمة مع المومنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مؤاليهم وأنفسهم، إلا ما ظلم أو آثم فإنه لا يوتغ (يهلك) إلا بنفسه وأهل بيته. إلى أن يقول الميثاق : (وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على ما حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة، والبرّ دون الإثم، وأنه لا يأتّم امرؤٌ بحليف، وأن النصر للمظلوم، وأن اليهود ينفقون مع المومنين ماداموا محاربين، وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وأن الجار كالنفس غير مضرّ ولا آثم، وأنه لا تُجار حُرمة إلا بإذن اهلها، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مردّه إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ، وأن الله على ألقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه، وأنه لا تُجار قريش ولا من نصرها، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب. ويختتم الميثاق بالبند التالي : (وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمنٌ بالمدينة إلا من ظلم أو آثم، وأن الله جارٌ لمن برّ واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ).

فمن خلال ما جاء في هذا الميثاق الذي لازال لم يدرس الدراسة العلمية العميقة فيما علمت، ندرك أن الرسول الأعظم عليه السلام كان يضع الأسس القوية للدولة الإسلامية التي تركزت في المدينة المنورة العاصمة الأولى لدولة الإسلام، وهي : (1) أساس التعامل مع مختلف المتساكنين ولو كانوا غير مسلمين، (2) وأساس العلاقات الخارجية إذا ما دعا داع للتعامل معها إن سلماً فسلم، وإن حرباً فحرب، (3) أساس ينص على النصر للمظلوم وعلى البر دون الإثم، (4) أساس يصون حُرمة الأوطان وحرمة من يدخل في الميثاق ويقبل جواره، (5) أساس يضمن حرية عقيدة الآخرين الذين لم يدخلوا في الإسلام وسألوه بصدق.

ولقد علّق أحد الباحثين على هذا الميثاق فقال :  
(هذا عهد له أثره الكبير، ومظهره العظيم، ولم يعقدّه الرسول مع اليهود فحسب، بل هو كما يذكر ابن إسحاق كتاب كتبه الرسول بين المهاجرين والأنصار، وفيه وادّع اليهود وعاهدتهم وأقرّهم على ذمتهم وأموالهم).

ومن خلال التوجيهات النبوية، سنّت القوانين والمبادئ والتقاليد التي تقوم عليها الدولة الإسلامية، سواء في المجال السياسي والاجتماعي أو الاقتصادي، أو غير ذلك، كنظام الحرب إذا ما دعت الضرورة إلى القيام به.

ولا يسمح المجال الآن لإعطاء نظرات تفصيلية في هاته التوجيهات النبوية والقرآنية، والتي تؤكد أن الرسول محمداً ﷺ، بعثه الله لإصلاح العقيدة والأخلاق والسلوك، وإقامة دولة العدل والتسامح والحرية والإحسان، وأن رسالة الإسلام ليست رسالة عقيدة إيمانية فحسب، ولكنها رسالة إصلاحية واجتماعية تسعى لإقامة مجتمع إسلامي حر متقدم يدين بالتوحيد، ويسير في النهج الذي أمر الله أن تسير فيه المجتمعات الراقية، أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، ناشراً العدل والأخوة بين الناس أجمعين، وأنه ليس دين التعبد والرهبانية وإغفال شؤون الدنيا، ولكنه دين الاستسلام لأوامر رب العالمين، وخدمة المجتمعات الإنسانية عن طريق العلم والمعرفة لتسير في الطريق المستقيم، متعاونة على البر والتقوى، مجانبة للإثم والعدوان.

## محمد ﷺ أعظم شخصية في التاريخ الانساني

يحتفل المسلمون في بقاع الأرض جميعها بذكرى مولد سيد الكائنات، محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلوات. وهذا الاحتفال يعبر عن تعلق المسلمين برسولهم الأعظم، الذي كان مولده ومبعثه، هداية للخليقة كلها، ورحمة للعالمين أجمعين. ذلك أن الله سبحانه اختصه بخصائص لم يهبها لأحد من قبله ولا من بعده، وأعطاه من الآيات البيّنات، ما لم يعطه لأحد من خلقه، واثني عليه بما لم يثن على أي رسول غيره، فقال عز من قائل: وانك لعلى خلق عظيم.

ان الصفات التي تحلى بها رسولنا الأمين، والآداب التي تأدب بها، والنجاح العظيم الذي لقيته دعوته، كل ذلك وغيره، جعله أعظم شخصية وجدت على هذه البسيطة، وأشرف رسول بعثه الله لانقاذ الإنسانية، وليست هذه دعوى يدعيها المسلمون، ولكنها حقيقة ثابتة، وواقع اعترف به حتى الذين لا يدينون بالإسلام.

ولكي لا نطيل بأقوال العلماء والفلاسفة الذين  
وازنوا بين الشخصيات التي هدت الانسانية الى رشدها  
منذ بدء التاريخ، واعترفوا لرسولنا بالمكانة الأولى، فاننا  
نكتفي هنا بما اعترف به اخيرا الدكتور "مايكل هارث"  
المتخصص في الدراسات الرياضية، والقانونية، والفيزياء،  
والفلك، في كتابه الذي اختار فيه مائة شخصية من  
التاريخ الانساني، وجعلها في طليعة الرجال الذين أسدوا  
للانسانية الخير والمعروف، لقد درس "الدكتور مايكل"  
حياة الشخصيات الإنسانية الكبرى، ووقع اختياره على  
مائة منها، رتبها كما أعطاها اجتهاده، ثم جعل في  
طليعتها شخصية رسولنا العظيم عليه السلام، موضحا  
الأسباب التي جعلته يضع شخصية رسولنا أول شخصية  
عظيمة في التاريخ الإنساني، قال الدكتور "مايكل" ان  
اختياري محمدا "ليكون الأول في قائمة أهم رجال  
التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في  
التاريخ كله، الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني  
والدنيوي، لأنه أقام الى جانب الدين دولة جديدة... اذ  
وحد القبائل في شعب، والشعوب في أمة وضعها في  
موضع الانطلاق الى العالم. ثم يقول : ان معظم الذين  
غيروا التاريخ، ظهوروا في قلب احد المراكز الحضارية في  
العالم، في بيئة متقدمة، تبرر ظهور العظماء فيها، ولكن  
(محمدا) هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء

الجرداء المجردة تماما من كل مقومات الحضارة والتقدم، فجعل من البدو البسطاء المتحاربين، قوة معنوية هائلة، ومن أجل هذا التأثير الديني والدينيوي، فاني وجدت أن محمدا هو صاحب الحق الوحيد، في أن اعتبره صاحب أعظم تأثير على الاطلاق في التاريخ الانساني".

هذا ما يقوله الدكتور (مايكل) في حق الرسول الأعظم ﷺ، وذلك ما يشهد به، بعد دراسة علمية واعية نزيهة.

وإذا كنا نحن المسلمين، لا نحتاج الى شهادة أجنبية تؤكد لنا عظمة رسولنا عليه السلام، فاننا مع ذلك نريد أن نقيم الحججة على أولئك الذين يغفلون أو يتغافلون عن إدراك هذه الحقائق، فيعمدون الى الترهات يستمدون منها معلوماتهم، وحقائقهم، وأحكامهم عن الاسلام، ورسول الاسلام.

ان عظمة (محمد عليه السلام) لم تات من النجاح الذي حققه فحسب، ولكن هذه العظمة تأتيه من ذلك وغيره، فشخصية رسولنا شخصية كاملة في جميع النواحي : كاملة في خلقها، وكاملة في خلقها، ورسالته التي بعثه الله بها، رسالة حضارية خالدة، لا تبلى مع مرور الأزمان، ولا تنقضي عجائبها ما توالى الملوان، اذ هي رسالة السماء الى الأرض، والنور الذي أضاء الله به

للعالمين طريق الحق، والطريق الوحيد الذي يلزم الانسانية  
أن تسلكه، إن ارادت الرجوع الى مهيع الرشد والعدل  
والصواب.

لقد بعث الله رسولنا محمدا ﷺ برسالة الوحدة  
والتوحيد، وحدة الخليقة كلما كانت تحت كلمة الحق،  
وربط العالم جميعه برباط العدل والصدق، ولقاء الإنسانية  
كلها تحت كلمة التوحيد، ومحو الفوارق بينها بالدخول في  
الاسلام، والمؤخاة بين بني البشر، لخدمة المثل العليا التي  
أتى بها الاسلام، فليست في الإسلام فوارق طبقية ولا  
نزعات جنسية، ولا أفضليات عنصرية، وانما هي وحدة  
انسانية سامية، لا تمتاز الا بالتقوى والعمل الصالح،  
فبلال الحبشي في مجتمع الاسلام سيدنا، وسلمان الفارسي  
منا أهل البيت، وصهيب الرومي الرابع فينا.

ورسولنا يرفع صوته في حجة الوداع قائلا "أيها  
الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم  
وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض  
على أسود إلا بالتقوى".

لقد ذهبت الفوارق الاجتماعية والطبقية، بدعوة  
الإسلام، ودعا محمد عليه السلام، إلى اقامة الحق والعدل  
والانصاف بين المخلوقين جميعهم، لا فرق بين غنيهم  
وفقيرهم، شريفهم ومشروفهم، الكل سواء أمام شريعة  
الإسلام، ولقد أنذر رسولنا عليه السلام أولئك الذين

يريدون أن يعاملوا بني الانسان، معاملة متميزة، ويجعلونهم طبقات متفاضلة فقال : "انما أهلك من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطع محمد يدها"

هكذا كون رسولنا الأمين عليه السلام مجتمع الإسلام في دولة الاسلام، وهكذا أراد الله ورسوله أن تبنى المجتمعات الاسلامية : مساواة بين البشر، إقامة الحق والعدل، أخوة حقيقية، تراحم حقيقي، وتكافل اجتماعي بين جميع المسلمين، إعطاؤه المثل من نفسه في النزوع الى الحق، والعدل، والمساواة بين الناس في الأحكام، فلقد ألقى عليه السلام خطبة في آخر حياته قال فيها "ايها الناس، من كنت جلدت له ظهرا، فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضا، فهذا عرضي فليستقد منه، ومن أخذت له مالا، فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يخشى الشحناء من قبلي، فانها ليست من شأني".

هذه بعض تعاليم الرسول محمد عليه السلام، وهذه بعض قيمه وأخلاقه، وتوجيهاته في تكوين المجتمع الفاضل الذي كان يعمل على تكوينه، والذي أراد عليه السلام، أن تسير عليه المجتمعات التي تدين له بالطاعة والامتثال، في كل الأزمان والعصور.



فاذا ما احتفلنا اليوم بذكرى مولده، فان واجبنا في الاحتفال، إتباع المناهج التي دعا إليها، والسير في الخط الذي خطه لنا، فتناصح ونتعاون، ونتأخى ونتكافل، ونامر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونرمي وراءنا كل انحراف عن جادة الحق والصواب، وصدق الله العظيم "لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين". فاللهم صل على محمد وآل محمد، وجازه أعظم الجزاء على ما قدم من نُصْح وإرشاد، واجعلنا من الذين يسلكون مسلكه، ويتبعون نهجه، ويهتدون بهديه آمين.

## محمد رسول الله ﷺ المثل الكامل في الخلق

من منن الله على المسلمين، ﴿أن بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ فالرسول محمد عليه السلام بعثه الله معلما، علم الناس بأقواله وأفعاله وسلوكه المستقيم، وجعله الله قدوة حسنة لكل من يريد أن يسلك مسالك الراشدين، ويهتدى بهدى المهتدين.

والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وفي كل الظروف والأزمان، مطالبون بأن يتأسوا برسولهم الأمين، ويحتذوا حذوه في جميع تصرفاتهم، وفي كل ما يأتونه وما يبتعدون عنه من الأعمال، وفي كل ما يسلكونه من الأخلاق. فالرسول هو القدوة الحسنة، و﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ فاذا ما اختلطت السبل على الناس، واذا ما تاهت العقول والأفكار، وتعددت المعايير والمقاييس لدى الأمم، فنحن المسلمين لنا معيار إنساني واحد، نرجع إليه في تصرفاتنا، ومقياس واحد

نقيس ونحكم به على سلوكنا، ذلكم المقياس والمعيار، هو ما كان عليه الرسول الأمين، فهو عليه السلام المقياس الوحيد، والأسوة الصالحة الواحدة. لقد كان ﷺ المثال الكامل للإنسان الكامل، في كل أحواله وتصرفاته وجميع مجالات حياته، وإذا كانت الأمم يقاس تقدمها بتقدم أخلاقها، فأحر بنا نحن المسلمين، أن نتبع سنن رسولنا في أخلاقه، ليسير تقدمنا وسلوكنا في المنهاج الذي ارتضاه الله ورسوله.

فلقد كان عليه السلام المثال العالي الرفيع في الأخلاق الحسنة، حتى امتدحه الله في القرآن الكريم قائلاً وهو أصدق القائلين: ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾.

محمد ﷺ عظيم في أخلاقه، وجميع تصرفاته، حتى استحق هذا التنويه العظيم. فما هي هذه الأخلاق التي كان يتحلى بها سيدنا الرسول، حتى نال هذا التنويه الكبير، الذي لم ينله أي بشر على الإطلاق؟

إن المتتبع للسيرة النبوية الطاهرة، يجد فيها ما يملأ العين، ويشفي الصدر، ويقنع العقل، ويفرض الاعتراف بأن أخلاق رسول الله ﷺ كانت في منتهى السمو والرفعة، وأن أخلاقه عليه السلام لا تفرض الاحترام والتقدير والاعتراف من المسلمين فحسب، ولكنها تفرض الاعتراف حتى من الخصوم والمعاندين.

لقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله، فأجابت قائلة : إن خلقه كان القرآن، وسئلت مرة أخرى عن خلقه عليه السلام فقرأت قول الله تعالى : ﴿قد أفلح المومنون، الذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون، والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم على صلواتهم يحافظون، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس، هم فيها خالدون﴾.

وسئل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق فقال : هو أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك.

وعن جابر أن رسول الله ﷺ قال : ان من أحبكم إلي، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة : أحسنكم أخلاقا. قال : وأن أبغضكم إلي، وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة، الثرثارون والمتشدقون ﴿الذين يتطاولون على الناس في الكلام﴾ والمتفيهقون قالوا يا رسول الله ! قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال : المتكبرون. وسئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال

تقوى الله، وحسن الخلق، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال : الفم والفرج.

قال الامام الجنيد رضي الله عنه : سمي خلقه (عليه السلام) عظيما لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى.

وقال ابن العباس ومجاهد في تفسير قوله تعالى :  
على خلق عظيم : على دين عظيم، ليس دين أحب الى الله تعالى ولا أرضى عنه منه.

وعندما نزلت عليه السلام آية : ﴿يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ دعا معاذاً وعلياً، وكان قد أمرهما أن يخرجوا الى اليمن فقال : انطلقا، بشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، فانه قد أنزلت علي : ﴿يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا مبشرا بالجنة ونذيرا من النار وداعيا الى الله (شهادة ان لا اله الا الله) باذنه وسراجا منيرا﴾.

وجديرا بنا ونحن في غمرة الاحتفالات بذكرى مولد رسول الله ﷺ، أن نستجلى سيرة رسول وأخلاقه العالية، ونتبين معالمها، حتى تتجلى أمامنا واضحة لعلنا نقتبس من أنوارها، ما يقينا العثرات، ويسلك بنا مسلك الراشدين. ولا قيمة للذكريات، اذا لم تدفع المقيمين لها الى التأسى بصاحب الذكرى، واتباع هديه، والاحتذاء بأخلاقه وسلوكه وتصرفاته. ولا خير في المسلمين اذا لم

يتعرفوا إلى أخلاق رسولهم الأمين، ويسيروا في حياتهم على نهجها المستقيم، ومن المعلوم أن اتباع أخلاق رسول الله، والتأسي به عليه السلام فيها؛ يقتضي منا أن نتعرف إلى حقائقها، حتى نسلك مسلكها.

اننا ونحن نحتفل بذكرى مولد رسول الله، نرجو الله أن يلهم المسلمين طريق الحق والخير والصواب، فيسيروا في سلوكهم وأخلاقهم طبق ما دعاهم إليه رسولهم الأمين، ويهتدوا في حياتهم بالنبراس الوهاج، والاسوة الصالحة، ويجعلوا دائما أمام أعينهم الآية الكريمة التي تحضهم على اتباع نهج الرسول الأمين، ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم، فان تولوا فقل حسبي الله، لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾.

صدق الله العظيم

## محمد الراعي الأمين

المتتبع لمراحل نشأة الرسول محمد ﷺ، يلاحظ أنه كان منذ صغر سنه، أعطى من المواهب والاخلاق، الشيء الكثير، فزيادة على الإمارات التي كانت تدل على أنه يهيأ لأمر خطير، فانه في ذات نفسه، كانت له من الحساسيات والاهتمامات، ما يبرهن على شعور ممتاز، وأخلاق جد نبيلة.

لقد كان يعيش مع عمه أبي طالب بعد وفاة جده عبد المطلب، وكان يلاحظ أن عمه يتحمل كثيرا من المتاعب، نظرا لكثرة عياله، وقلة أمواله، وكان بجانب ذلك لا يريد أن يعيش عائلة على غيره، فلقد طبع على حب العمل، خصوصا وان العائلة التي كان ينتمي اليها كانت دؤوبة على الاشتغال، متعاطية للتجارة، فلقد كان عبد المطلب يمرن أبناءه جميعهم على تعاطي التجارة، والتجارة عمل شريف لدى القرشيين، والذي لا يتعاطاها، لم يكن عندهم ذا اعتبار كبير.

لم تكن ميادين العمل كثيرة ومتشعبة في المجتمع  
المكي، فالبلد غير ذي زوع، وليس هناك من عمل شريف  
غير التجارة والرعي.

وإذا كانت التجارة تتطلب بعض الشروط، أهمها  
بعد تهييء رأس المال، بلوغ سن معينة، فلتكن رعاية الغنم  
مرحلة يكتسب منها بعض ما يمكنه أن يساعد به عمه  
على تحمل أعباء العيش. وهكذا عمل رسول الله - فداه  
أبي وأمي - على أن يرعى غنما لأهل مكة، مقابل قراريط  
يحصل عليها، بموضع يسمى "بأجباد"، وهو واد من  
واديان مكة مما يلي "الصفاء"، ولا زالت منطقة أجباد معروفة  
الى اليوم، قريبة من الحرم المكي.

اشتغل رسول الله راعيا للغنم مقابل قراريط، مثل ما  
اشتغل غيره من الأنبياء والرسل رعاية غنم أيضا. ففي سيرة  
أبي اسحاق أن النبي ﷺ قال: "بعث موسى عليه السلام  
وهو راعي غنم، وبعث داود عليه السلام وهو راعي غنم،  
وبعثت وأنا أرى غنم أهلي بأجباد.

ترى! ما هو السر في أن يشتغل بعض الأنبياء  
والمرسلين، ومنهم رسولنا العظيم في بدء حياتهم برعاية  
الأغنام. هل هو تدريب من الخالق جل وعلا للمصطفين  
من خلقه لرعاية أعظم منها وأشرف، لاشك في ذلك ولا  
ريب، لاشك أنه إعداد وتهييء، حتى ينتقل المصطفى من  
رعاية الأغنام، الى رعاية الخلائق.



إعداد من الرب تعالى لسيد الخلق، ليقوم بواجبه في هداية البشرية ورعايتها والعناية بها، حتى لا يصيبها مكروه، ولا يلحق بها أذى، ولا يقتنص آقاصيها ذئاب.

إعداد من الرب لمصطفاه من خلقه، حتى يؤدي رسالته التي سيطوقه بها أداء سليما، فينير لرعيته الطريق، ويدفع عنها كل أذى، حتى إذا ما أمره ربه بقوله : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ ﴿يا أيها المدثر قم فانذر﴾ قام رسول الله ممثلا، وأدى رسالته ورعايته ناجحا، فصلى الله على محمد الراعي الأمين، وجازاه على ما قدم لنا من هدى، وما وضع لنا من هدى، وما وضع لنا من طريق، ما يجازي به رسله والصادقين المصلحين. فاللهم آت سيدنا محمد الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، انك لا تخلف الميعاد.

## حياة الرسول ﷺ في ثلاثة أطوار

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ﷺ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﷺ، والصلاة والسلام على المرسل رحمة للعالمين، الداعي إلى الطريق الحق، وإلى الصراط المستقيم.

### سادتي

في مثل الليلة الماضية، منذ ألف وأربعمائة وثمانية أعوام، اهتز العالم بأجمعه هزة عنيفة، كان لها تأثير في أعماق النفوس، واتصال وثيق بحبات القلوب. في تلك الليلة هتف هاتف أن بزغ في سماء الوجود الإنساني هلال وضاء، لا نظير له في عالم الكائنات. في تلك الليلة سطع نور على وجه الأرض، نفذت أشعته القوية إلى صروح الظلم فدكتها، وإلى أفئدة الجبابرة فلينتها، وإلى أصنام الشرك فحطمتها. في تلك الليلة المباركة، سمعت

الأرواح صوتا عاليا ينبعث من عالم المعنويات ينادي :  
يأيها الناس طيبوا نفوسا، وقرروا عيوننا، فلقد ولد اليوم  
منقذ الإنسانية من الضلال، ومرشد الخلق إلى محجة  
الصواب، وناشر السلام في الأرض، في تلك الليلة، ولد  
المعظم المختار، سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن  
هذا الطفل الذي وُلِدَ، أتى بمكارم الأخلاق، وجلائل  
الأعمال، اجتمعت له صفات عجيبة، فيكون صادقا  
أميناً، ويكون حليماً رحيماً. يكون ذا مروءة وسخاء،  
وشهامة ووفاء. حسن الخلق والخلق، لئِن الجانب، رقيق  
الشمائل، قوي العزيمة، صلب الإرادة، تهابه الملوك  
والأمراء، وتخضع لعظمتته العروش، وتعتو لجلاله  
الصوالج والتيجان. لقد ولد المصطفى والعالم في فوضى  
واضطراب، فهناك حرب مستعرة بين القبائل وبين  
الملوك، وهناك بنات مظلومات، يحفر لهن قبور، يؤذَن  
فيها، وهن ناظرات، ولا يعلمن ماذا ارتكبن. هناك بنت  
الحان تصنع بالعقول ما تصنع، فتفسد الأخلاق، وتضيع  
الأموال، وتهتك الأعراض، وتجلب كل الأوصاب  
والأمراض، هناك الإباحة السافرة، والفضيحة والعار،  
هناك خشونة في الطباع، وسجود لمعبودات ما أنزل الله  
بها من سلطان. في هذا الوسط المملوء بالآثام، بزغ نور  
النبي محمد صباح اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول  
عام الفيل، إنها لذكرى تخر لها الجباه إجلالا، وتنحني  
لها الرؤوس إكبارا وإعظاما.

لقد جعل أرباب السيرة لحياته ثلاثة أدوار : فالأول من ولادته إلى النبوة، والثاني من النبوة إلى الهجرة، والثالث من الهجرة إلى الوفاة، وإني أرجو أن أتكلم بمناسبة مولده الشريف على هذه الأدوار الثلاثة، ليكون المسلمون على خبرة من حياة نبيهم، مع مراعاة أني سأختصر الكلام، إذ البسط يحتاج إلى طول، وإلى مؤلفات.

لقد ولد النبي من أبوين كريمين، فأبوه عبد الله بن عبد المطلب، زعيم قريش وسيدها، وأمه آمنة بنت وهب سيدة بني زهرة نسبا وشرفا. تزوج أبو الرسول وهو في الثامنة عشرة من عمره، آمنة المذكورة فحملت منه بالرسول، وتوفي عبد الله وآمنة حامل به، فتألم عبد المطلب لوفاة ولده ألما مميّضا، أثار الشجون، وأسأل العيون، وبعد وفاته بمدة، وضعت آمنة وليدها سيدنا محمد يتيما، فأرضعته أياما معدودات ؛ وأخذت نساء بني سعد يطفن بمكة ملتزمات فيها الرضعاء في سنة مجدبة شهباء، فأخذته حليلة السعدية ذات الأتان العرجاء، بعد أن لم تجد غيره، وقالت فوالله إني لأكره أن أرجع من بين صواحيبي ليس مع رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلاّخذنه" واحتملته إلى مستقرها قريرة العين به، إذ درّت عليها البركات مدة وجوده معها. وما كاد يتم سنتي رضاعه، حتى رجعت به إلى أمه، وهي حريصة على بقائه

عندها، ولذلك طلبت من أمه أن تعود به إلى البادية، فأذنت لها، ثم رجع إلى مكة بعد أشهر، لما وقعت حادثة شق الصدر. ولما بلغ السنة السادسة من عمره، أخرجته أمه إلى أخواله بالمدينة، فتوفيت بالأبواء، فحضنته أم أيمن، وكفله جده عبد المطلب، وبعد سنتين من كفاله توفي جده أيضا، فكفله عمه أبو طالب، وكان يحبه حبا جما، وفي السنة التاسعة من عمره، سافر إلى الشام مع عمه أبي طالب، كما سافر مرة أخرى بتجارة لخديجة بنت خويلد، صحبة غلامها ميسرة، وكان له من العمر إذ ذاك خمسة وعشرون سنة، وبعد رجوعه من تجارته، خطبته السيدة خديجة لنفسها، لما رأت من أمانته، وطهارته، وسهولة معاملته، فرضي المصطفى بزواجها، ثم عاش معها على أتم وفاق وألفة، وصفاء وغبطة، ولقد كان يحبها محبة عظيمة، ولذلك لم يفكر في الزواج بغيرها، حتى وافتها منيتها، ولقد قال في شأنها : آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدقني حين كذبني الناس، وأعطتني مالها حين حرمني الناس، وفي السنة الخامسة والثلاثين من عمره، صدع سيل جارف، جذران الكعبة، فصارت قريش تبنيتها، وشاركهم الرسول ﷺ، ولما أرادوا وضع الحجر الأسود، اختلفوا فيمن يضعه، حتى كان سينجم عن خلافهم قتال، لولا أن حكموا الذي كانوا يدعونه "الأمين" فوفق ﷺ لحل يرضي القبائل جميعها، ذلك أن

بسط رداءه وقال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم وضع يديه الشريفتين الحجر فيه، وأمرهم برفعه، حتى انتهوا إلى موضعه، فأخذه الرسول ووضع فيه. وكان ﷺ كلم تقدم به السن، نمت في قلبه حب الخلوة، والانفراد والانقطاع إلى مراقبة الله تعالى والتعبد بمناجاته، فكان يخلو بغار حراء، الليالي ذوات العدد، ولما بلغ الأربعين، نزل عليه الوحي في ذلك الغار، وأمره تعالى بقوله : اقرأ باسم ربك الذي خلق الخ... فرجف بها فؤاده، ورجع إلى خديجة خائفاً، وفتى الوحي ثم عاد فأمره الخالق بقوله : يا أيها المدثر قم فأندر الخ... فقام إذ ذاك الرسول بعزيمة ثابتة إلى تلك الأمم البعيدة عن الدين، والأخلاق، وطفق يدعوهم إلى توحيد الله، بالحكمة والموعظة الحسنة، فلباه أناس، ونفر عنه آخرون، ووضعوا في سبيل دعوته كل عقبة كؤود، ونالوه بضروب من الأذى، لا يطيقها أحد، ومع ذلك لم ينثن له عزم، ولم تفتر له قوة في سبيل التبليغ، ونشر الدعوة، وابتدأت الدعوة سرا، خوفاً من مفاجأة الناس بأمر غريب، ثم أمره الله بالجهر بقوله : فاصدع بما تؤمر، وأعرض عن المشركين، فلبى داعي الله، وخاض غمرات الدعوة، ودعا الناس إلى عبادة الله وحده، وأن يتركوا ما كان عليه آباؤهم من الشرك، والكفر، وعبادة الأوثان، ودعاء الأصنام، فكان ﷺ يطوف على الناس في منازلهم

يقول: يا أيها الناس إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأبو لهب وراءه يقول : يا أيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم.

وفي السنة الخامسة من النبوة أمر الرسول أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وهي أول هجرة من مكة، وعدة أصحابها عشرة رجال، وخمس نسوة. وفي السنة نفسها، أسلم سيدنا حمزة، وسيدنا عمر بن الخطاب، الذي أيد الله به الإسلام، وكان المسلمون إذ ذاك بضعة وأربعين رجلاً، وإحدى عشرة امرأة. ولما مضت سبع سنوات على نبوته، أمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، للمرة الثانية، وعدة المهاجرين نحو 83 رجلاً، وثمانية عشرة امرأة، فاستقر المسلمون بالحبشة ورحب بهم نجاشيها، ولقد أرادت قريش أن تغري النجاشي، فأرسلت إليه هدايا وتحفاً، رجاء أن يرُدَّ من هاجر من المسلمين، فأبى، وأسلم لما دعاه النبي إلى الإسلام، ثم مات مسلماً، وصلى عليه الرسول، لما أعلمه جبريل بوفاته، وهذه هي أصل صلاة الجنائز على الغائب. وفي السنة العاشرة، فوجئ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بموت خديجة، الزوجة الصالحة التي كانت تهون عليه كل شدة، وتزيل عنه كل شدة، وبعد وفاتها بشهرين، توفي عمه أبو المطلب، وكان يدرأ عنه الأعداء، ويمنعه ممن يريد أذاه. وما أن فقد النبي هذين النصيرين، حتى بدأت قريش تزيد في إيذائه، وهو

لا يزيد إلا ثباتا، رماه بعض سفهاء قريش يوما بقاذورات على رأسه، فكانت فاطمة تزيلها وهي تبكي : فقال لها : لا تبك يا بنية، فإن الله مانع أباك، ولما اشتد أذى قريش له، وتعصبهم عليه، هاجر إلى الطائف، ومعه زيد بن حارثة، فأقام بها شهرا يدعو بني ثقيف، فلم يجيبوا، بل بالغوا في إيذائه، فرجع إلى مكة حيث كرمه الله بالإسراء والمعراج، وكان في السنة الحادية عشرة.

#### بدأ انتشار الإسلام والعرض على القبائل

لما رأى الرسول أن قريشا تحول بينه وبين تأدية الرسالة المأمور بتبليغها، لما استولى على قلوبهم من الكفر والحق، صار ﷺ يخرج إلى مواسم العرب، ويعرض نفسه على القبائل، ليحموه حتى يؤدي رسالته، فكان البعض يرد ردا جميلا، والبعض يرد ردا قبيحا، وكان من جملة الذين يقصدون الحج عرب يثرب، وهما قبيلتان بينهما خلاف مستمر، ولقد أتى وفد من الأوس لمكة، لأجل مخالفة قريش على الخروج، فتعرض لهم الرسول وقال : هل لكم في خير مما جئتم به، أن تومنوا بالله وحده، ولا تشركوا به شيئا، وقد أرسلني الله إلى كافة الناس، ثم تلا عليهم القرآن، فقال أحدهم وهو إياس بن معاذ، يا قوم، هذا والله خير مما جئنا له، ولما جاء الموسم تعرض الرسول لنفر منهم يبلغون الستة، وكلهم من



الخزرج، ودعاهم إلى الإسلام، فقال بعضهم إنه النبي الذي كانت تعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه، فأمنوا به وصدقوه، وقالوا : إنا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم، فإن يجمعهم الله عليك، فلا رجل أعز منك، وكان هؤلاء سبب انتشار الإسلام في المدينة، ولما كان العام القابل الذي هو 12 للنبوة، لقيه اثنا عشر رجلا 10 من الأوس و2 من الخزرج، فاجتمعوا عند العقبة الأولى، وأسلموا وآمنوا، ثم انصرفوا إلى المدينة، ومعهم مصعب بن عمير، وعبد الله بن أم مكتوم، يقرآنهم القرآن ويفقهانهم في الدين، ولقد حدث أن قال سعد بن معاذ رئيس قبيلة الأوس لأسيد بن حضير، ألا تقوم إلى هذين الرجلين اللذين أتيا يسفهان ضعفاءنا، لتزجرهما، فقام لهما أسيد بحربته، ولما وقفا عليهما قال : ماجاء بكما تسفهان ضعفاءنا، اعتزلا إن كان لكما بأنفسكما حاجة، فقال مصعب : أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته فكففنا عنك ما تكره، فقرأ عليه مصعب القرآن، فاستحسن دين الإسلام، وسيطرت عليه روحانية القرآن، فما قام حتى دخل في دين الإسلام، ثم رجع إلى سعد قائلًا، والله ما رأيت بالرجلين بأسًا، فغضب سعد وقام لهما متغيظًا، ففعل معه مصعب، كما فعل مع صاحبه، فهداه الله للإسلام، ثم رجع إلى قومه قائلًا : رجالكم ونسأؤكم على حرام، حتى تسلمو فلم

يبق بيت من بيوت بني عبد الأشهل، إلا أجابه. وفي السنة الثالثة عشرة للنبوّة، وفد على الرسول منهم 70 رجلاً، وامرأتان فأسلموا، وبايعوه عند العقبة، وهي العقبة 12 ولقد حضر في هذه البيعة مع النبي عمه العباس، وكان لازال لم يسلم، وقال للمدنيين : إن كنتم ترون أنكم وافون بما وعدتموه إليه ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتكم، وإلا فدعوه بين عشيرته، فإنه ليمكن عظيم، فأعلنوا إسلامهم، ودخلوا فيما دخل فيه إخوانهم.

## الرسالة الاسلاميه رسالة خالده ﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾

رسالة الاسلام رسالة خالده. لا يبليةا مرور الزمان، ولا ينقص من قيمتها توالي الأيام، اذ هي الرسالة التي أراد الله أن تكون مشكاة للبشرية، تهتدى بنورها، وتستضيء بتعاليمها، وتسير على مقتضى تخطيطاتها وأوامرها، وعن الرسالة التي تستمد أسسها من السماء، وتجعل الانسان - يسير في هذه الحياة الدنيا على بصيرة من أمره، مهتديا بالهدى الأعلى، ومبتعدا عن التخبط في ميادين الوهم والزيغ والضلال.

والرسالة الاسلاميه الى ذلك كله، رسالة الى الانسانية كافة، يهتدي بهديها الأبيض والأسود، وتلتقي فيها مختلف الشعوب والأمم والجماعات والأفراد ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

لقد أتى رسولنا محمد ﷺ بهذه الرسالة من ربه ليهدي بها قوما أضلتهم العماية، وأغوتهم أضاليل

الأهواء. فهي كما عبر عنها ذلك الصحابي الجليل عندما قابل نجاشي الحبشة حيث قال : أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية. نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش. ونقطع الرحم. ونسيئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا، وذلك الرسول منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته، وعفافه. فدعانا إلى الله لنعبده ونوحده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الأحجار والأوثان. وأمرنا أن نعبد الله وحده، أمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء. ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به.

لقد اعتنت الرسالة الاسلامية أول ما اعتنت به. بتثبيت العقيدة في النفوس. وتركيز الايمان بالله. بوحدانيته، وبوجوده، وبكماله المطلق. وأنه سبحانه مصدر هذا الوجود. ومبدع هذا الكون. فجميع ما في الكون، إنما هو إشعاع منه تعالى، منه أتى، واليه يعود، اذ هو الحقيقة المطلقة. وهو المدبر للعوالم كلها، علويها وسفليها. غائبها وحاضرها. ﴿له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، هو الأول والآخر والظاهر والباطن. وهو على كل شيء قدير﴾.

والاسلام عندما يرفع من قيمة الانسان بالتوحيد.  
ويعلى قدره بالايمن. ويجعله عزيزا بتعلقه بالألوهية  
المطلقة، يكرمه بالخلافة في الأرض. ويأمره بأداء رسالته  
في الحياة، ليعالج مشاكلها المختلفة. ويسخر ما في الطبيعة  
لمصلحته، ومصحة الانسانية جمعاء.

ونظرة الاسلام إلى الحياة نظرة شاملة كاملة، لا  
تعتني بجانب دون جانب، ولا تهتم بحالة دون أخرى.  
لأن رسالة الإسلام وهي آخر رسالة من السماء الى  
الأرض، وصاحبها خاتم النبيين والمرسلين. لا بد أن  
تكون محيطة بجميع ما تتطلبه الحياة وتقدمها، ولا بد أن  
تكون مهتمة بجميع مشاكلها وقضاياها. وإلا فانها  
ستكون غير صالحة، وبالتالي لا تجد فيها الإنسانية  
علاجات مشاكلها المستجدة على تعاقب الزمان، وتغاير  
المكان.

ومن هنا كانت الرسالة الاسلامية رسالة خالدة.  
لان مبادئها الأساسية مبادئ ثابتة، ولانها أتت باصول  
تستمد منها الإنسانية، وتأخذ منها قلبها، مهما تعاقبت  
الأيام، وتطورت أحوال الزمان والمكان.

ورسالة الاسلام رسالة إلهية ؛ يبلغ الرسول عنها ما  
أنزل عليه من ربه ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من  
ربك﴾ فهي ليست من انتاج عقل الرسول، ولا من وحي

نفسه. وانما هي وحي يوحى اليه. فهي منهاج إلهي، حسب الرسول فيها التبليغ. بمنتهى الصدق، والنصح بغاية الاخلاص. ولذلك كانت رسالة خالدة، لان تعاليمها مستوحاة من الذي يعلم السر وأخفى. ولان أوامرها مستمدة من الذي خلق الكون والانسان، وخط له المنهاج الذي ينبغي أن يسير فيه، والوجهة التي عليه ان يتجه اليها. حتى لا تزيغ به الأهواء، وتتعدد عليه السبل.

ثم ان رسالة الاسلام رسالة مرنة، لأنها في الواقع مستمدة من القرآن، وفي القرآن من المبادئ والأصول ما يجعلها صالحة لكل ظرف، ولكل مكان. لان الذي أمر بها وهو الحق سبحانه عزت قدرته. أحاط بالكون علما، فهو العليم بالمكونات. وهو الخبير بكل ما هو آت. فلا تخفى عليه سبحانه خافية. والكون كله في قبضته، فسبحانه من إله تعالت صفاته. وتقدست أسماؤه، وسبق في علمه. ما يكون عليه الكون، وما تتطور فيه الحضارات، على مقتضى علمه وارادته - فأفسح المجال للعقل الانساني، لاداء رسالته الحضارية. وجعل دينه الحق، الذي ارتضاه لعباده، دينا تؤيده العقول. ولا تضيق به ابتكارات العلوم. ولا يزيده مرور الأيام، وتعاقب الأزمان، الا ثباتا وصلابة. ولا تزيد البشرية معه الا انصياعا وانقيادا واعترافا بوحداية المدبر الحكيم.

وإذا كان القرآن الكريم والسنة النبوية، يعتبران المصدر الحقيقي لرسالة الاسلام، فان المصدرين الاخرين اللذين اتفقت عليهما الأمة الاسلامية، وهما الاجماع والقياس، يعتبران في الحقيقة من أهم المميزات اللاتي يمتاز بهما الاسلام، واللاتي فسح الله بهما المجال للعقل الانساني، ليقرر في المصالح العامة، ما فيه خير الإنسانية، وما اقتضته التطورات الحضارية، وما جد في الحياة من مشكلات، سواء في ميدان التشريع، أو الاقتصاد، أو الاجتماع.

وإن المتتبع لأصول أدلة الشرع الاسلامي، ليقف إعجاباً بالأحكام التي استنبطها العلماء المسلمون من المبادئ والأسس الأولى، ليحافظوا على المقاصد الشرعية التي ترعى المصالح العامة لبني الانسان، وليدفعوا كل مفسدة يتضرر منها الخلق، سواء في حياتهم العاجلة أو الآجلة.

ان نظرة في باب المصالح المرسله تعتبر من أفسح المجالات التي أتى بها التشريع الاسلامي. واليسر الذي أتت به رسالة الاسلام إذ "مقصودها المحافظة على مقصود الشرع. بدفع المفسد عن الخلق، ورعاية مصالحهم" والتغلب على المشاكل التي تحدث بتطور الزمان. والقضايا التي تجدد بتقدم الحضارات.

ومن هنا كان الاسلام دين الحضارة الإنسانية، لأن مبادئه لا تضيق أمام تطور الأحداث، ولأن أصوله صالحة لان يستمد منها في كل العصور والأزمان.

ان رسالة الاسلام ليست بالرسالة المتحجرة العقيمة، ولا بالرسالة التي اقتصرت مهمتها على تنظيم العلاقة بين العبد وربّه، ولكنها رسالة أتت لإصلاح المجتمع في شتى مضامين الحياة فيه. فعلى مقدار ما كانت مهمة بتزكية النفوس الانسانية وتطهيرها حتى تصبح قريبة من ربها. بمقدار ما اهتمت بالمصالح الحياتية لبني الانسان، سواء في حياتهم الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو السياسية، زيادة على آداب السلوك الذي نعبر عنه بمكارم الأخلاق.

ونظرة خاطفة في القرآن الكريم، وتصفح خفيف لمحكم آياته، يعطيان الدليل على أن رسالة الاسلام، كانت رسالة هادفة الى تحقيق السعادة لبني الانسان، سواء في ميدان الروح أو ميدان المادة، سواء في ميدان الدين، أو في ميدان الدنيا، لان الاسلام وهو دين الله الخالد، يعتبر بحق دين التوازن في الحياة. فتعاليمه كلها متوازنة. ونظراته وأحكامه جميعها متعادلة، فهو إذ يهتم بالجانب الروحي في بني الانسان، يهتم بالجانب المادي فيه، لان الله وقد سخر الطبيعة بجميع ما فيها للإنسان، أراد منه أن يستفيد منها في حياته الدينية والدينية، ما يساعده على إصلاح شأنه، وتقوية عزائمه، والسير قدما بحضارته، وبسط روح المحبة والعدالة والتضامن بين جميع إخوانه.

فالاسلام ليس بالدين المغلق المنكمش على نفسه، وليس بالدين الروحاني الذي أمر أتباعه أن يتخلوا عن



مناهج الحياة وزينتها، ويفروا الى الصومعات والخلوات ليتعبدوا فيها، وانما قال في كتابه الكريم : ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل عن الذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ وقالت الحكمة : "أعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا"، وهذه التعاليم الإسلامية على اختلافها وتعددتها، تلاحظ مدونة ومسطرة في الكتاب المنزل من السماء، وفي السنة النبوية الطاهرة، التي احتفظ بها في الأسانيد الصحاح. كما تتجلى واضحة حية في سيرة الرسول، وأعماله وسلوكه، وجميع تصرفات حياته، فلقد كانت حياته ﷺ وتصرفاته وأخلاقه، تطبيقا لتعاليم القرآن، حتى أن عائشة رضي الله عنها أجابت لما سئلت عن أخلاق رسول الله ﷺ قائلة : كان خلقه القرآن، وهذه ميزة أخرى يمتاز بها الاسلام، فتعاليمه وأخلاقه لم تكن تعاليم نظرية متخيلة، مثل بعض الأفكار والنظريات التي تخيلها أو كتبها بعض الفلاسفة، أو المنتبئين الذين لم يستطيعوا أن يبرهنوا على صلاحيتها في حياتهم أو سلوكهم، وانما كانت تعاليم، برهن على صلاحيتها بأن كان يطبقها في حياته وسلوكه الفعلي، وكان صحابته الكرام يرونها باعينهم، وكانها تمشي على رجلين، وظهر أثرها واضحا كذلك عندما طبقها صحابته الكرام، والصالحون من أبناء الأمة الإسلامية

على اختلاف - الدهور والعصور . فالوصايا الاخلاقية،  
والتعاليم الاجتماعية. والاصلاحات الاقتصادية  
والسياسية. كل ذلك تجلى في سيرة الرسول، وسيرة  
صحابته الراشدين. حيث كان عصرهم، يدعى بحق  
عصر القرآن، وعصر تعاليم القرآن، وحيث كان مجتمعهم  
مجتمعا قرآنيا، لا تجد فيه انحرافا، ولا تلاحظ فيه اي  
اضطراب او تضاد.

وبعد فلقد كان بودي أن أتحدث بنوع من التفصيل  
عن رسالة الاسلام في الميادين الاجتماعية - والأخلاقية  
والاقتصادية، والسياسية وغيرها من الجوانب التي اهتم  
بها الاسلام. ولكنني لم أستطع ذلك في مثل هذه العجالة،  
فلارجئ هذا الموضوع إلى مناسبة أخرى، أرجو أن تكون  
قريبة، ولأكتف بما كتب، مساهمة في ذكرى مرور أربعة  
عشر قرنا على بعثة الرسول محمد عليه السلام، سائلا  
الباري عزت قدرته، ان يمدنا بقوة منه، حتى نسير في  
هدى سيدنا رسول الله، ونتبع خطاه، ونقتبس من أنواره  
ما ينير أمامنا السبل، ويهدينا الى المحجة البيضاء ﴿ربنا لا  
تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة، انك  
أنت الوهاب﴾. صدق الله العظيم.

## عرفت الإنسانية سموها بولادة محمد ﷺ

ذكرى مولد الرسول الأعظم ﷺ تبعث في النفس كثيرا من الآمال، وتدعو المومنين الى المزيد من التعلق به، والتأسي بسيرته، والاهتداء بهديه.

فولادة محمد ﷺ كانت في الواقع تحولا خطيرا في تنظيم علاقات الانسان بربه وعلاقته بمجتمعه، وعلاقته بالناس أجمعين. وولادة الرسول كانت الانطلاقة الأولى التي هدت الإنسانية لرشدها، وحررتها من عقالها، وفكت عقولها من أغلالها. وولادة الرسول ظهرت النفوس من أدرانها، وخلصت الأرواح من أوهامها، وركزت المثل العليا في أعماقها، وكانت السبب في القضاء على العبودية التي أصابت كثيرا من البشر، فجعلتهم يعيشون إخوة متحابين متعاونين آمنين، بعد أن كانوا يعيشون متطاحنين متشاكسين مستعبدين.

لقد عرفت الإنسانية سموها بولادة محمد، وعرفت الحرية قيمتها بولادة أحمد، وظهر لأول مرة على سطح

الأرض معنى التكريم الذي كرم الله به البشر، عندما جعلهم خلفاء في الأرض، يعمرونها بالحق والفلاح، ويسعون فيها هادفين إلى الإصلاح. فانفتحت العيون على الخير، ونجت النفوس من الهلاك، ووقف الضعيف مطمئنا، لا يهاب قويا، ولا يخشى ظالما، وشعر البشر جميعا بأنهم سواسية، لا فضل لأبيضهم على أسودهم، ولا لعربهم على عجمهم، إلا بالتقوى والعمل الصالح في الحياة. ووجدت البشرية في هذا المولود ضالتها المنشودة، ورسولها المنتظر، وقائدها إلى الرشاد والمدنية والفلاح.

لقد ازداد الرسول ﷺ في وقت كانت الوثنية فيه في منتهى أوجها، وعباد الأصنام في منتهى صولتهم، ومكة التي كرمها الله بأن جعل فيها أول بيت أسس ليكون هدى للعالمين، أصبحت قاعدة الوثنية، ومركز الجحود والإلحاد والضلال. ومجتمع الاستغلال والاسترقاق، والطغيان. كما كان مشركوها يتلاعبون بمقدرات الافراد والجماعات، ويدينون بالولاء لمن يشجع فيهم روح الكفر والاحاد.

إن مولد الرسول ﷺ ثم مبعثه، أحدث انقلابا في نفوس العرب، وقوم من أخلاقهم، وردهم الى المهيع المستقيم، وفتح لهم الآفاق، ووفر لهم أسباب الانطلاق، وجعل عبادة الله لا الاصنام، هي التي بها يدينون، وجعل التواصل بالحق والصبر، هو الذي عليه يسرون. الاخوة

أساس علاقاتهم، والتنافس على الخير والصلاح مهديهم في طريقهم. وقرار الحق والعدل بين البشر غاية رسالتهم. وهكذا أصبحت لهم قوة لا تعادلها قوة في الوجود، وهكذا دوخوا المعمور، وفتحوه في مدة لا تتجاوز ثلث قرن خلاف ما هو معهود.

لقد كانت ولادة الرسول محمد عليه السلام نعمة على قومه وعلى الإنسانية جمعاء، فكانت سنة ولادته بداية عهد الرخاء، كما كان مبعثه سببا في رفع البلاء. فلقد رد الله سنة ولادته كيد أبرهة في نحره، واحتفظ لكعبته المطهرة بقدسيتها ومكانتها واعتبارها ببركته، حتى صارت قبلة المسلمين، ومركز المتحنيين والمتدينين، ومقصد الحجاج من كل المعمور، وملتقى المومنين على ممر الدهور، اليها المسلمون يحجون، ويستمدون من جلالها صدق التوحيد واليقين. ويقصدونها مليون داعين، يهرعون اليها كلما مسهم حيف أو أصابهم انحراف، فتجمع كلمتهم على الحق، وتصل نفوسهم على التوحيد، فيعيشون في كنفها مطمئنين، ويلتقي رأيهم حولها بصدق ويقين.

ان ذكرى مولد الرسول ﷺ ينبغي أن تجعلنا نسير في الطريق التي سار فيها ﷺ، ونستمر في الدعوة التي بعث بها ودعا اليها، حتى نستحق الانتساب الى جنابه النبوي الشريف، وحتى نكون أهلا للانضواء تحت لوائه

المنيف. فلا يكفي أن نتغنى بأمداحه النبوية، ونرتل المواليد التي تعدد خصاله، وصفاته الحمديّة، بل لابد لنا إن أردنا أن ننعّم برضاه، ونسعد بمحبة الله، أن نتبع هداه، ونسلك مسالكه ﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾.

ان الرسول ﷺ لبث حياته كلها يدعو وينصح، ويبشر وينذر، ﴿ياأيها المدثر قم فأنذر﴾ ﴿ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ ﴿وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ حتى أدى الرسالة، وبلغ الأمانة، وأكمل الدين، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

لقد دعا ﷺ لتطهير القلوب من الشرك، وتصحيح العقيدة باليقين، كما دعا إلى الاستقامة في السلوك، معتبرا اياها المرتبة الثانية بعد الايمان فلقد جاءه رجل فقال : (قل لي يا رسول الله في الاسلام قولاً، لا أسأل عنه أحدا غيرك، قال : قل (آمنت بالله ثم استقم) ونزل عليه في القرآن الكريم ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا، إنه بما تعملون بصير﴾.

لقد علمنا رسول الله بأقواله وأفعاله، كيف يكون النجاح في الأعمال فجعل الشرط الأول هو الايمان، والشرط الثاني هو الاستقامة، اذ الأعمال التي لا تصدر عن الايمان يكون مآلها الفشل، ولا يأتي منها خير، ولا

تحصل منها بركة ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾. كما أن الاستقامة أساس كل نجاح، إذ لا يستقيم لك الناس، مادمت لا تستقيم في نفسك، (فاستقم يستقم لك).

فواجبنا إذا ما أردنا أن ننجح في دعواتنا، أن نستقيم في سلوكنا، سواء مع أنفسنا، أو مع إخواننا، أو مع جميع أفراد مجتمعنا، فالاستقامة أساس كل نجاح، والسير فيها علامة كل صلاح، فحذار من الانسياق مع الهوى، فأساس الدعوة الإسلامية الاستقامة، ولأمر ما أرشدنا الله لأن ندعو في كل صلاة قائلين : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ حتى نجعل الاستقامة هدفاً في كل حركاتنا وسكناتنا.

وحذار من أن ننحرف عن تخطيطات الرسول عليه السلام وأوامره، ففيها وحدها منجاتنا وصلاحنا.

وبعد فاذا كان لنا من كلمة أخيرة بمناسبة ذكرى مولد الرسول عليه السلام فهي أننا نأمل أن نستفيد من سيرة المصطفى، ما يعطينا نبراساً نهتدى به في طريقنا، ونورا يضيء لنا السبيل، حتى نسير في الطريق التي أمرنا الرسول باتباعها، وننهج المسالك التي سلكها وصدق الله العظيم : ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾.

## بعثة الرسول محمد ﷺ كرّمت الانسانية كلها

في عيد مولدك يا رسول الله، تهفو قلوب مآت الملايين من المسلمين الى المدينة المنورة، حيث يوجد مثواك في ثالث مسجد تشد اليه الرحال، وحيث تشع الأنوار القدسية في روضتك الشريفة، التي هي روضة من رياض الجنة.

ان ذكرى مولدك يا رسول الله، تبعث في نفوس المومنين كل الآمال، وتحيي في قلوبهم محبة العمل الصالح، وتشعرهم بأنه كما كان مولدك رحمة للعالمين، وانتكاسة للظلم والظالمين، ورجوعا بالإنسانية إلى طريق الهدى ودين الحق، فإن إشراقه ذكرى مولدك، ستكون ان شاء الله فاتحة عهد جديد، على العالم الإسلامي والإنسانية جمعاء، لأنك الرحمة المهداة إلى الخلق كافة، ولأنك بعثت رحمة للعالمين.

ها نحن يا رسول الله نحتفل بذكرى مولدك، ونحن نرى بشائر صحوة إسلامية جديدة، تحيي القلوب



التي أعمها التمرد والحيرة، فابتعدت عن المثل والتعاليم التي أتيت بها، وظنت - وبعض الظن إثم - أن السير في سنن التقليد الأعمى، سينقذها من مهاوى الانحطاط والتخلف، ويدفع بها في معارج الارتقاء والتقدم. صارت دون هوية، ونسيت رصيدها الأساس، ولم تهتد للطريق السديد، فافتقدت شخصيتها وضلت طريقها، ووجدت نفسها تائهة في بحر لجى من الضلالات والعبوديات والأهواء.

هاهي النداءات المومنة تتوالى عليها، أن هبى الى هويتك، وارجعى إلى ذاتيتك، ففيها المنجى، وفيها الفلاح، وعن طريقها تحقيق ما تصبو إليه من ارتقاء وتقدم وصلاح.

في كثير من الأقطار الإسلامية، تحركت ضمائر آمنت بك يا رسول الله، ورأت ما أصاب المجتمعات التي تنتسب اليك من انتكاس عن حقيقة الدين الذي أتيت به من عند ربك، وابتعاد عن الشريعة التي امرت بها، فثابت إلى رشدها، وأصرت على أن تعمل للرجوع الى حقيقة دينك الحنيف، في صفائها وطهارتها، بالحكمة والموعظة الحسنة طبق ما أمرتها، حتى ترجع المجتمعات الاسلامية كما أردت أن تكون : مجتمعات مومنة صادقة، متعاونة على البر والتقوى، رافضة لللاثم والعدوان.

وإذا كانت الطريق التي أمرت أمتك أن تسير فيها مستقيمة لا اعوجاج فيها، وإذا كنت حذرت أمتك من اتباع كثرة السبل الضالة، فان فآت وجماعات، ودولا وحكومات، أبت إلا أن تنكص على عقبيها، وتتبع غير سبيل المؤمنين، فضلت الطريق، ولم تهتد الى السبيل القويم، إن هذا المد الاسلامي، وهذا الرجوع إلى حقيقة الاسلام، أرعب كثيرا من الخصوم الذين ورثوا كل عداة للاسلام والحق، فطفقوا يتآمرون ويمكرون، ﴿ويعمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ لقد تخوفوا من هذه الصحوة الإسلامية، ورأوا فيها خطرا على مذهبياتهم وجحودهم ووجودهم، وقضاء على سيطرتهم ونفوذهم، فصاروا يختلقون الأسباب والمبررات، لإيقاف هذا المد، وللقضاء على هذه الصحوة، بأساليب متنوعة، وطرق متعددة ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ وانه لما يدمي فؤادنا، أن نرى هؤلاء الخصوم يكيّدون لهذه الصحوة الإسلامية أحيانا عن طريق بعض المنتسبين للاسلام، فيوقدون الفتنة هنا وهناك، في كثير من الجهات الاسلامية، ويستعملون المسلمين بقتل بعضهم بعضا، تحت شعارات شيطانية مكذوبة، وبأساليب قدرة مرفوضة، اننا ونحن نأمل لهذه الصحوة الإسلامية أن تسير في طريقها الصحيح، وتتعرف الى حقيقتها الواضحة المعالم، فتبتعد عن كل ما من شأنه أن يعيق

سيرها، وتتجنب كل الأخطاء التي تقضي عليها في بداية انبعاثها. نأمل أن تكون صحوة شمولية، تنظر إلى حقائق الأدواء، وتنفذ، إلى أسبابها، وتتعرف الى وسائل العلاج، وتعرف كيف تستعملها.

إن ذكرى مولدك يا رسول الله تدفعنا إلى أن نتعرف إلى رسالتك الخالدة اولا، وإلى الطرق التي اتبعت في دعوتك ثانيا، فإن لها فيك يا رسول الله اسوة حسنة، وما ضل من اتبع هداك، وما زاغ من اهتدى بهديك. لقد جاهدت يا رسول الله الزيغ والإلحاد، وقاومت الكفر والفسوق والعصيان، وأردت طاعة لأمر ربك، أن يبنى المجتمع الإنساني على أساس من التعارف والتعاون على الحق، والعدل، والخير، والتقوى، ولم ترده مبنيا على التباغض، والحقد، والاعتداء، والظلم، والجحود.

لقد أردته يا رسول الله مجتمعا مبنيا على الاعتراف بكرامة أي انسان كان، سواء كان مسلما أو غير مسلم، شريفا أو حقيرا، ضعيفا أو فقيرا، لأنك رسول الرحمة الى الناس كافة.

ولقد أردته يا رسول الله مجتمعا مضمونا فيه العدل بين الناس، لافرق بين غنيهم وفقيرهم، وشريفهم ووضيعهم، عدوهم وصديقهم ﴿ولا يجر منكم شأن قوم على الا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ عدلا

يعامل فيه الناس بسواسية مطلقة، ويعيشون عيشة كريمة، لا حرمان فيها ولا اضطرار، أردته يارسول الله مجتمعاً مبنياً على الإخاء، والرحمة، والتعارف والمودة ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم من دياركم، أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين﴾ أردته يارسول الله مجتمعاً عاملاً ساعياً باذلاً الجهد والطاعة في العمل والبناء، فلقد قلت يا رسول الله مخاطباً بعض صحابتي الكرام: "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها، فله بذلك أجر".

أردته مجتمعاً عالماً محارباً للجهل، فجعلت طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فقلت "طلب العلم فريضة على كل مسلم" و"أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، رضى بما يصنع".

لقد وضحت يارسول الله لامتك وللناس كافة طريق الحق، والخير، والرشد بأقوالك وأفعالك وسلوكك وجميع معاملاتك، وأردت للناس أن يسيروا في حياتهم ومعاملاتهم طبق ما أمرت به، فقلت حسبما رواه الامام مسلم في صحيحه: "إن أبواب الخير لكثيرة: التسبيح، والتحميد، والتذكير، والتهليل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ثميط الأذى عن الطريق، تسمع الأصم، وتهدي الأعمى، وتهدي المستدل عن حاجته،

وتسعى بشدة ساقين مع اللهفان المستغيث، وتحمل بشدة  
ذراعين مع الضعيف، فهذا كله صدقة منك على نفسك،  
وتسبيحك في وجه أخيك صدقة، وإمطتك الحجر  
والشوكة والعظم من طريق الناس صدقة، وهديك الرجل  
في أرض الضحالة لك صدقة".

لقد بلغت يا رسول الله وبينت، وبشرت وأندرت،  
ونصحت وما قصرت، فجزاك الله عما قدمت، وآتاك  
الوسيلة والفضيلة، والدرجة الرفيعة، وصلى الله عليك  
وسلم في الأولين والآخريين، وجعلنا من اتباعك  
الصادقين آمين.

## يا رسول الله

في وقت تكالبت فيه قوى الطغيان، وتجمعت فيه عناصر الفساد، وساد الجهل جميع الطبقات، واستعبد فيه الأقوياء الضعفاء، وانحرف المخلوقون عن عبادة الملك العلام، الى عبادة الأوثان والاصنام، وسادت حياة الغزو وعدم الاستقرار، وتحكمت فيه التقاليد والعادات، وعمت روح الفردية والانانية، واضطربت أحوال المجتمع الاقتصادية، والاجتماعية، وأهملت حقوق الإنسان، وديست كرامته، وتخلف المجتمع تخلفا مشينا، وكانت الحاجة تدعو إلى تغيير جذري، يقلب أحوال المجتمع الإنساني، حيث كنت رحمة للعالمين ومنقذا للضالين والمحرومين.

في هذا الوقت بالذات، شاءت العناية الإلهية أن تهب المجتمع الانساني، إنسانا كاملا يعطي للحياة حقها، ويرجع لها اعتبارها، ويعيد للمجتمع الانساني كرامته، ويجعله مجتمعا شريفا، لا يخضع لمخلوق، ولا يعبد مادة، وانما يقصر عبادته للملك الديان. فكنت يا رسول الله ذلك الإنسان الكامل، وكانت ولادتك ثم بعثتك، تحولا

أساسيا وجذريا في السلوك الإنساني، حيث كنت رحمة للعالمين، ومنقذًا للضالين والمحرومين.

لقد كانت ولادتك يا رسول الله، بداية عهد جديد للمجتمع البشري، تنفس فيه الصعداء، وتوالت فيه البشائر، واقتنع الزمان بأن الشرك والفساد والانحلال، قد ولى وأدبر، وأن عهد التوحيد، والاصلاح، والرخاء، والاطمئنان، قد أتى وأقبل، وأن زمان العبودية قد مضى، وحل محله عصر الحرية والانطلاق.

لقد شاءت العناية الربانية، أن تكون المنقذ لهذه المجموعة البشرية من سقطتها، وهاديا إلى ربها، ومرشدها إلى مصالحها، والضامن لخير دينها وآخرتها. فقامت يا رسول الله بأداء الرسالة التي طوقك الله بها، وبلغتها كأحسن ما يكون التبليغ، وأديتها كأحسن ما يكون الأداء، واتجهت لتكوين مجتمع يدين بالوحدانية لله، ويعيش عيشة فيها كثير من الاطمئنان، مجتمع يسود فيه الرخاء، ويعمه الهناء، وتربط أجزاءه روابط الحب والاخاء.

يارسول الله

لقد أتيت بعقيدة سامية، تنظر الى الحياة نظرة شاملة، وتعمل على إيجاد انسجام بين أطرافها، دون تضارب أو طغيان، عقيدة تهذب الروح، وترفع مقامها

وتثق بالعقل، وتعلي من شأنه، عقيدة تنظم شؤون الحياة، وتهتم بمطالبها دون تقصير أو افراط.

ولقد رفعت من شأن هذه العقيدة، واعتبرتها أساسا لكل نجاح، ودعوت إلى التوحيد، واعتبرته شرطا في كل فلاح، وأتيت بالإسلام، وأبلغتنا أنه هو الدين الذي ارتضاه الله للناس، ورتلت على المؤمنين «اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الاسلام ديناً» وبينت لنا أنه هو الدين المقبول «ان الدين عند الله الاسلام»، وعلمتنا أن الاسلام أقوال وأفعال، وأنه هو التسليم الذي هو اليقين، كما ورد عن ابن عمك وصديقك علي كرم الله وجهه «لأنسبن الاسلام نسبة لم ينسبها أحد من قبلي : الاسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل».

### يارسول الله

لقد سبقت القرون والأزمان في إقرار حقوق الإنسان. فقضيت على العصبية، والعنصرية، وصرحت بملء فيك منذ أربعة عشر قرنا، أن لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود، الا بالتقوى. فعاش الناس في ظل تعاليمك آمنين مكرمين، وتنعموا بالحرية التي ولدتهم أمهاتهم عليها يسودهم العدل،



وتعمهم الطمأنينة، لا يهضم لهم حق، ولا تفرض عليهم  
سيطرة، بل يعيشون اخوة متحابين.

### يارسول الله

لقد دعوت الى مكام الأخلاق، وكنت على خلق  
عظيم، بل كنت أحسن الناس خلقا، فأحبك أصدقاؤك  
وأتباعك، واحتسمى بظل عدلك حتى خصومك  
وأعداؤك، لقد دعوت إلى معاملة الناس بالعدل  
والقسطاس، فنزل عليك من ربك : ﴿وَلَا بَجْرٍ مِّنْكُمْ  
شِنَانِ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا، إَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

لقد دعوت الى الشورى والتشاور، ونفذت أوامر  
ربك الذي خاطبك قائلا : ﴿وشاورهم في الأمر﴾  
ومدح المشاورين عندما قال : ﴿وأمرهم شورى  
بينهم﴾. فكنت يا رسول الله تستعين بآراء صحابتك  
الكرام، وتستانس بها، ولا تتوانى عن الأخذ بما هو  
صالح وحصيف منها.

### يارسول الله

لقد دعوت الى التعاون على الخير، والتآزر في  
صيانة المصلحة العامة للمسلمين، واعتبرت المجتمع  
الاسلامي كالجسد الواحد، اذا اشتكى منه عضو، تداعى له  
سائر الجسد بالحمى والسهر، كما دعوت إلى التكافل

الاجتماعي، وسد حاجات الفقراء والمحتاجين والمعوزين،  
وتأمين وسائل الحياة الضرورية لهم.

يارسول الله

لقد لاقيت من قومكم مقاومة عنيفة، ومخاصمات  
شديدة، ودعايات سافلة، وأراجيف باطلة، فما لانت  
قناتك، ولا ضعفت عزيمتك، ولا نكصت على عقبيك،  
ولا تأخرت عن أداء مهمتك النبيلة، ولكنك تبثت ثبوت  
الرواسي، وكافحت كفاح الصادقين، وناضلت نضال  
المجاهدين، وقلت قولتك المأثورة «اللهم اغفر لقومي  
فانهم لا يعلمون».

يارسول الله

لقد علمنا من سيرتك النبوية، كيف كنت إنسانا  
كاملا في جميع تصرفاتك، وفي كل حركاتك  
وسكانتك، في بيتك ومجتمعك، في عبادتك وتهجدك،  
في زهدك وعفتك، في تربيتك وإرشادك، في وعظك  
وخطابتك، في تعاملك وتجارتك، في حلمك وغضبك،  
في سلمك وحربك، في صداقتك وخصومتك، في  
حكمتك وعدلك، في حنوك وعطفك، مع أصدقائك  
وخصومك، مع أتباعك وشائئيك.

## يارسول الله

لقد أعطت تعاملك الشريفة للدين حقه، وللدنيا حقها، وأرشدتنا سيرتك للطريق التي علينا أن نسلكها، لنعيش في هذه الحياة سعاداً، ولنلقي الله وهو عنا راض. فبينت ما أمرك ربك بتبليانه، ووضحت ما وراك خالقك بتوضيحه، وخططت للمومنين الطريق، وحضضتهم على اتباع التخطيط، ثم وصيتهم أن لا يتفرقوا طرائق قددا، وقلت لهم زيادة في التبليغ وأداء الامانة : تركت فيكم ما أن اتبعتموه لن تضلوا أبدا : كتاب الله.

## يارسول الله

لقد كان الحواريون من أنصارك، وأتباعك، مومنين بتعاليمك، مقتبسين من أنوارك، مهتدين بهديك، سائرين في نهجك، فعاشوا سادة أعزة كرماء، وفرضوا وجودهم على المعمور، واعترف بفضلهم البعيد والقريب، ودانت لهم الدنيا بحذافيرها، رغم قلة عددهم بالنسبة لغيرهم، وذلك سر الايمان، وهو السير في النهج المستقيم. ولكن يارسول الله، خلف من بعدهم خلف، حسبوا أن الاسلام مجرد انتماء. والدين مجرد ادعاء، فانحرفوا عن جادة الصواب، وساروا في منحرجات وأهواء، وأصبحوا رغم كثرتهم، غثاء كغثاء السيل، تفرقت كلمتهم، واختلفت مذاهبهم، وتغيرت قلوبهم، وتعددت آراؤهم، فتشتتوا

طرائق قددا، وسلط الله عليهم من أذاقهم من الهوان، ما يجب منه أخذ كل اعتبار.

وهاهم الآن يا رسول الله، شعروا بالحاجة الملحة إلى إمداداتك، وتيقنوا أن لا صلاح لهم إلا بالرجوع لتعاليمك، والسير في نهجك، فصاروا يعقدون الاجتماعات، ويحضرون الندوات، عاملين على استرداد مجدهم الضائع، معترفين بأن رصيدهم الذهبي، هو ما أتيت به من تعاليم، وما يوجد بين دفتي المصحف من الآيات. متيقنين أن نجاحهم في وحدتهم، وخيرهم في تعاونهم، ومصالحتهم في صيانة كيانهم، راجين من الله العلي القدير، أن يوفقهم للعمل الصالح، حتى يعيدوا كرامتهم، ويستعيدوا مجدهم، ويفرضوا وجودهم، ويعمموا تعاليم دينهم المثلى ﴿ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز﴾ صلى الله عليك يا رسول الله وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

## ذكر مولد الرسول الأمين ﷺ

عند ما تحل ذكرى مولد الرسول الأمين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، تطفح القلوب بشرى بمولد من أنقذ الله بمولده ومبعثه، قلوبا أعمتها الضلالة، وأمماً أضلتها الأهواء، وبشرية، كانت تتيه في بحر لجى من الظلمات.

فمراجعة سريعة لصفحات التاريخ، تنبئنا أن العالم جميعه كان في حاجة قصوى إلى هداية السماء. وفساد المجتمعات وتطاحنها، كان يتطلب الهادي المنقذ من الضلال والأهواء، والإنسانية المفطورة على الحق والايمن، كانت تتطلع إلى من يهديها الى فطرتها التي فطرها الله عليها، من الايمان الصادق الخالص من كل شرك.

ولم يكن الهادي الى الحق، الا سيد الخلق، ولم يكن المنقذ من الضلال، الا سيد الأنام. لقد ولد سيدنا محمد ﷺ في ظروف، طغت فيها المادة، فأعمت الابصار، وأضلت البصائر، فكانت ولادته بشيراً باضاء معالم

الطريق، كما كان مبعثه نورا أضاء المحجة، وهدى إلى السبيل القويم.

والمسلمون عند ما يحتفلون بذكرى مولد رسولهم العظيم، لابد لهم أن يدركوا مغزى هذا الاحتفال، ويستفيدوا من هذه الذكرى.

فذكرى رسول الله ليست الا مناسبة سنوية، تذكر كل مسلم بمغزى ارتباطه برسوله الأمين، وتوقظ في ضميره الشعور بمسؤولياته ازاء هذا الرسول، وما أتى به من رسالة عامة خالدة، خلود الذي أرسله بها جلت قدرته.

والرسالة الاسلامية الخالدة، عبارة عن عقيدة وشريعة وثقافة، وسلوك اجتماعي يظهر أثره لدى التعامل في الحياة، وهي لا تهتم بربط الانسان المسلم بربه فحسب، ولكنها تريد أن تنتظم حياة هذا الانسان المسلم، طبق ما شرعه الله، بواسطة رسوله المبعوث الى الإنسانية كلها ﴿وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

والانسياق لرسالة الاسلام، أمر حتمي وضروري لصحة انتساب المسلم الى الأمة الاسلامية. والافان إسلام المرء، يعتبر مجرد نطق كلامي، ولا يعتبر في الواقع اسلاما حقيقيا صحيحا، ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا

ولكن قولوا أسلمنا، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴿  
الإسلام الحق : أقوال وأفعال، وخضوع واتباع، وعقيدة  
وأخلاق، وشريعة وسلوك، فاذا انعدم واحد مما ذكر، كان  
الإسلام مجرد انتساب، وكان ناقصا ان لم يكن مفقودا  
والعياذ بالله.

والمسلم عند ما تطمئن نفسه للحقيقة الإسلامية،  
وعندما يؤمن أصدق الإيمان بالرسالة التي أتى بها سيدنا  
محمد ﷺ من عند ربه، لا بد أن يعمل بصدق ودؤوب  
على نشر مبادئ وتعاليم الإسلام، ولا بد أن يسعى جهده  
لبناء مجتمعه الإسلامي على أساس عقيدة وشريعة وأخلاق  
الإسلام، لان الإسلام ليس فكرة مجردة لا تتطلب تطبيقا،  
سواء في سلوك الفرد، أو في تنظيم شؤون المجتمع، ولكنه  
حقيقة واقعية، تسعى لإصلاح الفرد، وتنظيم المجتمع على  
أساس من المبادئ والتعاليم التي أتى بها، ودعا إليها.

وإذا كانت المبادئ والتعاليم، تتطلب من يعمل على  
تطبيقها، ويحرص على حمايتها، فان واجب المسلم  
الصحيح الإسلام، أن يبذل جهده وطاقته للتشبيث بتلك  
المبادئ، وإيجاد الاداة التي تحرصها وتصونها، وليست إلا  
الدولة الإسلامية التي تعيش الإسلام عقيدة وشريعة وخلقاً.

فالدولة الإسلامية مطمح من مطامح الرسالة  
الإسلامية، لانها وحدها التي تستطيع أن تحقق الاهداف

التي دعا اليها الاسلام، سواء في شؤون الدين أو شؤون الدنيا. وللدولة الاسلامية مقومات لا بد من الاحتفاظ بها، والنضال في سبيل الذود عنها، ومن جملة هذه المقومات : الثقافة الاسلامية النقية، التي لا بد من صيانتها وتعميم نشرها، فالاسلام كما قال أحد الباحثين : "ثقافة ودين معا، وقلما يمكن تصور قيام الثقافة فيه بمعزل عن الدين".

والحقيقة أن المسلمين اذا ما ابتعدوا عن دينهم، فانهم يبتعدون عن ثقافتهم، كما عبر عن ذلك المرحوم عبد الرحمان عزام حيث قال : "المسلمون اذا فقدوا دينهم، فانهم يفقدون ثقافتهم، ويتردون الى انحلال مجتمعاتهم".

إن المسلمين وقادتهم، وكل المسؤولين فيهم، مطالبون بأن يراجعوا حقيقة أمرهم، خصوصا في مثل مناسبة ذكرى مولد رسولهم الأمين عليه السلام، وإلا فان احتفالاتهم واجتماعاتهم تكون مجرد لقاءات روتينية، لا تعطى المقصود منها.

فالاحتفال بالذكرى، مناسبة فريدة لشحذ الهمم، وتقوية العزائم، والسير في طريق أداء الرسالة التي أتى بها الإسلام، وتبيين معالمها، وتوضيح مزاياها، والنضال في سبيل إصلاح المجتمعات على أساسها. اذ هي الوسيلة



الوحيدة لتحقيق المطامح التي تتوق اليها المجتمعات الإنسانية لإصلاح العقيدة، وتمتيع هذه المجتمعات بما تنشده من مبادئ الحرية، والمساواة، والعدل، والتكافل، وانعدام الطبقية، بالإضافة الى الرفع من قيمة الانسان المسلم سلوكا وأخلاقا.

إن الظلم الاجتماعي الذي تعاني منه الإنسانية، لا يجد علاجه الصحيح، الا في التعاليم التي أتى بها الرسول الأمين الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وإن الاطمئنان والسلام لا يتحققان، الا اذا اتبعت الإنسانية طريق الإسلام.

فلنغتنم فرصة ذكرى مولد رسولنا عليه السلام، لنبرز حقيقة الرسالة الإسلامية، وما أتت به من خير للإنسانية، ولنتل مع التالين، قول الرب العظيم : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ صدق الله العظيم.

## من وصايا رسول الله ﷺ

كانت مجالسة الرسول الأمين محمد عليه الصلاة والسلام لأصحابه، مجالسة توجيهه وتثقيف وتكوين، وكثيرا ما كان ﷺ يجلس بعد صلاح الصبح، ليحدث أصحابه الميامين، وليجيبهم عن الأسئلة التي يتوجهون بها إليه، والتي تتصل بموضوعات مختلفة، تتعلق بحياتهم الدنيوية والدينيوية، ومن جملة الصحابة الذين كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن قضايا ووصايا السابقين من الأنبياء والمرسلين، ليصل منها إلى طلب وصايا من رسول الله نفسه، الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، ففي صحيح ابن حبان والحاكم، ان أبا ذر سأل رسول الله عن صحف إبراهيم كيف كانت، وماذا جاء فيها. واستدرج من سؤاله إلى طلب وصايا من رسول الله ﷺ.

قال أبو ذر : قلت يا رسول الله ! أوصني، قال : أوصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله. قلت يا رسول الله زدني قال : عليك بتلاوة القرآن ؛ وذكر الله عز وجل،

فانه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء، قلت يا رسول الله زدني، قال : أحب المساكين وجالسهم، قلت يا رسول الله زدني، قال : انظر الى من هو تحتك، ولا تنظر إلى من هو فوقك، فانه أجدر أن لا تزدرى نعمة الله عليك، قلت يا رسول الله زدني : قال : قل الحق وان كان مرا، قلت يا رسول الله زدني : قال : ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك، ولا تجذ عليهم فيما تأتي، وكفى بك عيبا أن تعرف الناس ما تجهله من نفسك، ولا تجذ عليهم فيما تأتي، ثم ضرب بيده على صدري فقال : لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق، إحدى عشر وصية وصى بها رسول الله ﷺ في مجلس واحد، ولا تتعلق بناحية واحدة من نواحي الحياة، ولكنها تشمل تقوية العقيدة، وتقويم السلوك، وإصلاح المجتمع، ونشر الفضيلة بين الناس، وحماية العقيدة والدفاع عنها.

ولعل أساس كل هذه الوصايا التي وصى بها رسول الله ﷺ أبا ذر ينطلق من التقوى، فتقوى الله وخشيته، وشعور العبد المؤمن بأنه عبد من عباده، تلزمه طاعة مولاه في السر والعلانية، والعسر واليسر، والشدة والرخاء، تجعله خاضعا لربه، مستسلما لما أمر به، متبعا النهج المستقيم الذي خطه له ليسير عليه في حياته، والذي وضعه وبينه الكتاب الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، ولذلك فان رسول

الله عندما وصى أبا ذر بتقوى الله، اتبع ذلك بضرورة تلاوة القرآن، وذكر الله، لأن العكوف على تلاوة القرآن، وتدبر معانيه، والتأمل في مراميه، يجعل المؤمن الصادق يدرك ويعي معنى الصراط المستقيم، الذي يدعو آناء الليل وأطراف النهار، أن يهديه ربه اليه، وذلك في صلواته الخمس جميعها في سورة الفاتحة التي يفتح بها صلاته، ولأن الإنسان اذا غفل قلبه عن ذكر ربه، فانه ينساه، ومن نسى ربه، نسي نفسه، فلا يزيكها، ولا يطهرها، ولا يربيها ولا يهذب من سلوكها ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أولئك هم الفاسقون﴾.

وذكر الله يزيد المؤمن إيماناً، والإيمان هو الذي يدفع إلى القيام بالأعمال الصالحة والتي تُقوم السلوك الإنساني، فيصير المؤمن مثالا يحتذي في سلوكه مع نفسه، وسلوكه مع غيره، وينظر إلى عيوب نفسه يقومها. قبل أن ينظر إلى عيوب الناس يسخر منها. "ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك" لأن الإنسان اذا عرف نفسه حق المعرفة، أصلح ما بها من اعوجاج، ولم يشتغل بهتك أعراض إخوانه المؤمنين، وفي هذا المجال، لا يليق بالمؤمن الصادق أن يربي في نفسه روح الحقد على المجتمع، فيتشوف الى الذين هم أغنى منه، ويريد أن يلحق بهم في جمع الحطام، ولو بالطرق غير المشروعة، وتربى في

نفسه روح الكراهية على من هم في يسر أكثر من يسره، فالمسلم مطالب بالعمل والكد والسعي والرضا بما يقدر له من رزق، وفي الوقت نفسه مطالب كما جاء في هذه الوصايا أن يجهر بكلمة الحق، فيطالب بحقوقه المهضومة في دائرة الجدية والاستقامة، وطبق التعاليم التي أتى بها دينه الحنيف، ويعمل على أن تنال الطبقات المستضعفة جميع حقوقها التي فرضها الله على الطبقات الميسورة، حتى يعيش الجميع في اطمئنان وسلام، وتعاون ووثام، ومن هنا فإن رسول الله يوصيه على طريق أبي ذر رضي الله عنه، أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة، فيقتل في نفسه روح الكبر، والإعجاب، والغرور، والخيلاء، والتعالي على الناس، ويجالس المساكين والفقراء، ويتحبب إليهم حتى لا يشعروا أنه يتعالى عليهم، فيبغضونه ويحقدون عليه، فالأخلاق أساس التعامل بين الناس، والنبى ﷺ يقول: "انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

وإذا كان المسلم مطالباً بتقوى الله وعمل الصالحات، ونشر الفضيلة والأخلاق بين الناس، وإذا كان الإسلام يدعو إلى التعاون والتكافل بين جميع الناس، وإذا كان المومنون مطالبون بالدخول في السلم والأمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ فإنهم مطالبون أيضاً بحماية عقيدتهم، والنضال في سبيلها، ودفع الشبهات والاعتداءات عنها، ولذلك فإن رسول

اللَّهُ ﷻ جعل من جملة وصاياه لأبي ذر، أن يبقى دائما دائما مرابطا مجاهدا لإعلاء كلمة الله، والدفاع عن حوزة الاسلام، لأن الجهاد في الإسلام، هو رهبانية هذه الأمة المسلمة "عليك بالجهاد، فانه رهبانية أمتي" والذين يتركون الجهاد، ويتخلون عن حماية عقيدتهم ومبادئهم، وأوطانهم، يُهانون ويحتقرون ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾.

## عيد المولد النبوي ثالث عيد المسلمين

الحمد لله على نعمة الإسلام، والصلاة والسلام  
على أشرف الأنام، سيد ولد عدنان، الذي أوضح  
للمسلمين مناهج الخير، وأبان لهم مسالك الرّدى، ليتبعوا  
الذي هو أحسن، وليكونوا خير أمة أخرجت للناس،  
وعلى آله وأصحابه، الذين نصروا الدين ونشروه، فكانوا  
أحسن الخلق أجمعين.

وبعد فما من أمة إلا ولها أعياد ومواسم تستروح  
فيها من نسيم الحياة. وتستريح إلى نعيمها، وتعد  
للمستقبل عدته من قوة ومضاء؛

وأعرف الأمم بالحياة، أحرصها على تلك الأعياد،  
وأشدها ارتقابا لها، واعتدادا بها، وان فيها لتقويما  
وتعليما وعظة وذكرى، لمن كان له قلب أو ألقى السمع  
وهو شهيد.

وإن أعيادنا معشر المومنين قليلة، إذا قيست بأعياد  
الأمم الأخرى، ومن جعلتها عيد ميلاد أشرف الخلق،

الذي أنقذ الله بسببه الأمم مما كانت متخبطة فيه في ظلمات الغواية. فلقد كانت أحوال العالم قبل ظهوره مضطربة أخطر اضطراب، لم يعهد له مثيل، إذ غيرت الكتب السماوية، وأصابها من التحريف ما أصابها، وحجبت كلمات الله عن العقول البشرية واتجهت إلى مهاوي الرذيلة، وانقلبت الرذيلة فضيلة، وأقبل عليها الناس تقربا إلى الله، تنزه الله عما كانوا يفعلون، وكان الفرس والروم في حروب مستمرة، ذهبت بقوة الغالب والمغلوب، والشقاق حل بين الأفراد والجماعات، محل الألفة والوئام، ووقفت العقول عن التفكير، واستعبد أصحاب الأموال الفقراء بالربا الفاحش.

ولقد كان من رحمة الله بعباده، ألا يدعهم يتخبطون في بحور الضلالة، ويتيهون في بيداء الرذيلة، وأن يجدد لهم وحيه، فأرسل لهم ذلك المنقذ الكبير، والمصلح العظيم، إمام الرسل، وروح الوجود، سيدنا محمد ﷺ بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، قال الله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، ولقد قام ﷺ بما كلف به خير قيام، إذ دعا الناس إلى الحق القويم، وأبان لهم الهدى، وما زال بهم حتى أخرجهم من الظلمات إلى النور.

تلك حالة الأمم قبل بعثة هذا النبي الكريم، قد غمرتها أمواج الجهالة، وغشيتها سحب الضلالة، وكان



هذا العالم بأسره يتشوق مشرئبا إلى من ينقذه من آلامه، ويعالجه من أسقامه، فأرسل الله لتلك الأمم مصلحا كبيرا، ومرشدا عظيما، إماما عادلا، وقائدا راحما، آخر مبعوث، وأفضل مرسل، ذلك النبي، هو محمد ﷺ، أرسله رحمة بتلك الإنسانية المعذبة، وعطفا على تلك البشرية المضطهدة.

ولد رسول الله ﷺ يتيما، إذ توفي والده قبل أن يولد. ولم يترك له من المال، إلا خمس إبل، وبعض نعاج، وجارية، فأرضعته حليلة السعدية، فشرب اللبن، وترعرع في البادية، ولما بلغ السنة السادسة من عمره، توفيت أمه آمنة، فاحتضنه جده عبد المطلب، وبعد سنتين من كفالته، توفي جده أيضا، فكفله عمه أبو طالب، وكان يحبه حبا جما. ولما بلغ سنه الخامس والعشرين، تزوج بخديجة بطلب منها. وكان ﷺ كلما تقدم في السن، نما في قلبه حب الخلوّة والانفراد، فكان يخلو بغار حراء، يعبد الله فيه، ويفكر في صنع الله الجميل، وخلق المتقن، وفي حال أمته وماهي عليه من الجهل والضلال، ولما بلغ سنه الأربعين، نزل عليه الوحي في ذلك الغار، وأمره الخالق بقوله: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، فرجف بها فؤاده، ورجع إلى خديجة خائفا. وقد فتر الوحي ثم عاد، فأمره، الله العظيم بقوله: ﴿يا أيها المدثر﴾، الآية، فقام إذ ذاك الرسول بجأش ثابت إلى تلك الأمم البعيدة عن

مناحي الدين والأخلاق، وطفق يدعوهم إلى توحيد الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فلباه أناس، ونفر عنه آخرون، ووضعوا في سبيل دعوته كل عقبة... ونالوه بضروب من الأذى، لا يطيقها أحد في العالم أبدا، ومع ذلك كله، فلم يلبن له عزم، وما فترت له قوة في سبيل التبليغ، ونشر الدعوة، وأظهر منتهى الجلد والصبر والثبات، لما فوجئ بموت أبي طالب عمه، وملاذه، وموت خديجة زوجته، التي واصلت بحبها، ورقة نفسها، وطهارة قلبها، وقوة إيمانها، فكانت تهون عليه كل شدة، وتزيل عن نفسه كل وحشة.

وما أن فقد النبي هذين النصيرين، حتى بدأت قريش تزيد في إيذائه، وأيسر ما كان يذوقه من سفهاء قريش، رمي القاذورات على رأسه، فكانت ابنته فاطمة تزيلها وتغسله، باكية بدموع حارة، تفتت الكبد وتكلم الفؤاد، وليس أوجع للنفوس من أن يسمع الأب بكاء أبنائه وبناته، فله تلك النفس المطمئة الطاهرة القوية، التي بلغت من مراتب اليقين أعظمها رقيا، وأسماها جلالا، ويالله من ذلك الثبات والصبر الجميل، الذي لم تزده المصائب إلا توجهها بقلبه لله، ووثوقا بنصره إياه، وقد قال لابنته :

لاتبك يا بنية، فإن الله مانع أباك. وما زال النبي يجاهد في سبيل الدين، وتحرير الإنسانية، حتى بدأت

تباشير الفوز والنجاح، وأحرز في عشر سنين من النصر  
والمجد، ما تعجز عنه الملوك في القرون والسنين. ولقد كان  
ﷺ متصفا بأسمى الأخلاق الحسنة، متجافيا عن كل  
نقيصة، متباعدا عن كل عيب، وقد اشتهر ﷺ بالصدق  
والأمانة، حتى كانت تسميه قريش "الأمين" واشتهر  
بالثبات والصبر، وحسبك دليلا على ذلك، صبره على  
مناوئة قريش له، وقد اشتهر بالحلم والشفقة، ويدلك على  
ذلك قوله لأسرى قريش، بعد أن أنالوه من العداوة  
والأذى ما الله به عليم : اذهبوا فأنتم الطلقاء، وكان عليه  
السلام، نصير الحق، شديد العدل، وحسبك قوله : لقد  
شقيت إن لم أعدل، وكان عليه السلام متواضعا كثيرا،  
وديمقراطيا عظيما، وكفى قوله لأبي هريرة حينما أراد أن  
يحمل سراويل قد اشتراها فأبى وقال : صاحب الشيء  
أحق بشيئه أن يحمله، إلا أن يكون ضعيفا يعجز عنه،  
فيعينه أخوه المسلم. وكان عليه السلام شديد الشجاعة،  
عليما بالسياسة، وحسبك من ذلك برهانا، أنه قضى في  
مدة وجيزة على دولتين من أعظم دول العالم، وهما الروم  
والفرس، إلى غير ذلك من الصفات السامية، والأخلاق  
العالية، التي لا بد منها لمن يقود الشعوب، ويرشد الأمم،  
وحسبك قول الله له : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلِي خَلْقٌ عَظِيمٌ﴾، وقوله  
عليه السلام، بعثت لأتمم مكارم الأخلاق. وإلى هنا تقف  
العقول حائرة في كنه هذا النبي الكريم، والرسول العظيم،

أمي لا يقرأ ولا يكتب، كان يدعو قومه إلى فهم ما يقرءون ويكتبون، أمي لا يقرأ ولا يكتب، أتى بمعجزة القراءان الذي سجدت لفصاحته البلغاء، وطأطأت لبلاغته رؤوس الكتاب والشعراء، وما قدر ولن يقدر أن يأتي أحد من الإنس والجن بمثله، إلى يومنا هذا أبدا، أمي تسنم ذرى السياسة، وسلك مقاليدها، وظهر بمظهر رهيب مهيب، أدهش العالم بأسره، حتى تضعض خوفا منه أركان الأباطرة والأكاسرة، أمي كان لا يتكلم إلا بالحكمة وقصل الخطاب. أمي حول هذا العالم أجمع من طور الجهل والهمجية، إلى طور العلم والمدنية، ووضع لهم دستورا قيما، وقانونا محكما، قرآنا عربيا، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يوافق تطور الإنسانية في كل عصر، ويصافح المدنية جنبا إلى جنب.

أليس ذلك برهانا قاطعا ودليلا صادقا على صحة نبوته، وصدق رسالته، أليس ذلك حجة بالغة بأن جميع ما أتى به من عند الله، وبعون الله، فجدير بالمسلمين أن يحتفلوا بمولد هذا المنقذ العظيم، والأرشد الكبير. جدير بهم أن يحتفلوا بهذا اليوم المجيد الذي نشرت فيه شمس الهدى خيوطها، وتحررت فيه النفوس من رقها، وتخلصت الإنسانية من ظلمها، وجدير بالعالم أجمع أن يتبع سنن هذا النبي، ويتبع سنن هذا المرشد، إن أراد الرقي الحقيقي الدائم، والسلم العام، ويتخلق بأخلاقه

الحميدة، ويتمسك بأهداب دينه الذي اصطفاه الله لخلقه  
قال تعالى ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾  
وقال : ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾.

أيها المسلمون إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، لقد  
أرسل الله لكم محمداً أفضل من طلعت عليه الشمس،  
وأختار لكم الإسلام خير أديان البشرية ديناً، وتخلق  
سلفكم الصالح بخلق ذلك المنقذ العظيم، وتمسكوا  
بأهداب ذاك الدين القويم، وبذلك سادوا الأمم جمعاء  
وبنوا عزاً... تليداً، ومجداً طاول الثريا، كما بين ذلك  
التاريخ : أما نحن فقد تركنا الدين وراءنا، وتركنا كل  
ما أمرنا به، وارتكبنا كل ما نهانا عنه، تركنا كل ما تركه  
ودعانا إليه من الاتحاد، والتضامن، والتعاقد، والمحبة،  
وإنصاف ذوي الحقوق، فانفرط عقدنا، وتفرقت كلمتنا،  
وأصبحنا أعداء بعضنا، يفتك المسلم بأخيه المسلم،  
ويستهلك المسلم عرض أخيه، ويخونه في ماله، ولا يغيثه  
عند اللهفة، ويستعين عليه بعدوه، حتى أضعفنا جامعتنا  
بأيدينا، وفرقنا شملنا بأعمالنا، ودفنا سيادتنا بالانتماء  
لأعدائنا، وفرطنا فيما كان لنا من العز والجاه، ولم نفق من  
غفلتنا إلا بعد أن أصبحنا عبيداً لغيرنا، مستعبدين في  
أوطاننا، نعم تركنا آداب ديننا، وأهملنا العمل بها، فأصبح  
الزنا منتشراً بصورة مخزية، وفتحت الخمارات حتى  
بجانب مساجدنا، ورخص لبيوت الدعارة جهاراً،

وانتشر الفسق والفجور، وتركت الصلاة، ومنعت الزكاة،  
واستولى الران على القلوب، وضعف الإيمان، وعدمنا كل  
قوة لنا، وأصبحنا غرباء في ديارنا، وتوالت علينا المصائب  
من كل جهة، أهملنا القرآن، وأهملنا العمل به، وصار  
يصدق علينا قوله تعالى: ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي  
اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾.

فلنرجع أيها الإخوان إلى القرآن، ولنأتمر بأوامره،  
ولنتعاهد على نصرته، والعمل به ما استطعنا، لنحارب  
الزنا، والخمور، لنقم قومة رجل واحد لإصلاح أحوالنا،  
ولنرشد إخواننا حتى يرجعوا عما هم عليه، لنظهر قلوبنا  
من سائر الأحقاد والأمراض، لنجتنب الخيانة، ولنعتن  
بمصالح المسلمين في سائر بقاع الأرض، لنترك الخلافات  
الفرعية. جانبا، ولنعمل على توثيق عرى الرابطة بين سائر  
المسلمين، لنراقب الله في أعمالنا، لتتعاهد بناتنا وأبناءنا  
ولنعلمهم تعليما دينيا، لنحافظ عليهم أشد المحافظة،  
ليكونوا على بينة من أمور دينهم، لنامر بالمعروف، ولننه  
عن المنكر، ولا نخشى في الحق لومة لائم، لتتدبر قرآننا  
الكريم، ولنعلم أن ما نحن عليه الآن من الذل والهوان،  
هو بسبب أفعالنا ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم  
وأهلها مصلحون... الخ﴾ لنقتد بنبينا، لنسع في الوفاق  
لنصلح ذا البين، والقضاء على الحزازات التي في  
الصدور، لتتغنى ونعمل بقول الشاعر :

نبني كما كانت أوائلنا  
تبني ونفعل مثل ما فعلوا

أيها المسلمون، إن خير الأعياد، ما يعيد إلى الذاكرة  
حادثاً هاماً له شأن في تاريخ الأمة، ولا ريب في أن يوم  
عيد ميلاد أشرف الخلق، لأكبر عيد إسلامي، يذكرنا  
بعظمة الإسلام والدين، وأن إحياء ليلة ميلاد أشرف  
المرسلين، تدعونا إلى القيام ببعض ما يجب علينا من تذكّر  
أحوال نبينا، ويوم عيدنا الحقيقي هو اليوم الذي نعمل فيه  
جميعاً على استرداد عزنا المفقود، واسترجاع عزنا  
المنشود، هو اليوم الذي يسترد الإسلام فيه مكانته،  
ويسترجع قوته وعظمته، هو اليوم الذي يضحى فيه  
المسلم بروحه وماله في سبيل إعزاز دينه، وإعلاء شأنه،  
ورفع مناره هو اليوم، الذي لا يخشى فيه المسلم غير ربه،  
إذ يقول الحق لا يبقى به بديلاً، ويعمل على تحقيقه ما  
استطاع إلى ذلك سبيلاً، هو اليوم الذي ننتزع فيه بذور  
الأحقاد والأضغان من صدورنا، ونزرع فيه بذور الحب  
والإخلاص لبعضنا، ذلك هو اليوم الذي يسمى عيداً،  
وذلك اليوم هو الذي يكون فيه المسلم سعيداً.

أيها المسلمون ليس الاحتفال بذكرى المولد، أن  
تشعل المصابيح في شوارعنا، وتترنم بسماع الأناشيد في  
مجالسنا، بل الذكرى هي أن يتذكر كل واحد منا ويكي

بدمع الأسف، مجدا ضاع، وعزا فقد ؛ إنما نحتفل لنرى  
كيف كنا وإلى أي حالة صرنا، إننا نحتفل بهذه الذكرى،  
لنذكر ما كان عليه ذلك النبي العربي من خصال سامية،  
وصفات حميدة، لتتخلق بخلقه، وتتبع سنته، ونستमित  
في سبيل التمسك بشرعه، والدفاع عن دينه، أيها  
المسلمون إن في الأفق نسمات أمل لطيفة العليل، وفي  
الجو بارقات حركة، تدل على اليمن والبركة، ولكن هناك  
عقبات، دونها المخاطر والأهوال، وليس ثمة من وسيلة  
تنقذ الأمة من براثن المهاوي الفاغرة، فتنشلها إلا رجوعنا  
إلى شرعتنا السموح، وتمسكنا بأوامر خالقنا ورازقنا،  
وسيرنا على سنن نبينا. هذا هو الدواء. فإلى الاستئان  
بالدستور الالهي "القرآن" إن أردنا العز. وإلى إحياء  
المفاخر الإسلامية، والسنة النبوية، إن رُمننا المجد والفوز،  
وإلى توحيد الكلمة وتنظيم العمل، وتطهير القلوب،  
أدعوكم يا بني أمتي.

وفي الختام نطلب من الله الكريم المتعالي، أن يوفقنا  
لما يحبه ويرضاه، وأن يجعل كل أعمالنا خالصة لوجهه  
الكريم، وان يعيننا على نصره الإسلام، والنضال في سبيل  
عزة المومنين.

وإني أغتنم هذه الفرصة لأزف إلى المسلمين عامة،  
خالص التهنئات بهذا العيد السعيد، وأدعو الله أن يجعله



فاتحة عهد جديد، وأن يؤيد فيه الإسلام وينصره، ويخذل  
الكافرين والمنافقين، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، ويجعل  
كل أفعالنا وأحوالنا خالصة لوجهه الكريم، بحق منقذ  
العالم من الضلال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

هذا الخطاب ألقى بمناسبة ذكرى المولد  
النبوي في أحد المساجد الكبرى بسلا  
سنة 1353هـ - 1934م.

## واجب مفكري المسلمين نحو سيرة الرسول الأمين ﷺ

من المعلوم أن الرسالة الإسلامية، رسالة خالدة، وأنها صالحة لكل زمان ومكان، وأن رسولنا محمدا ﷺ بعثه الله إلى الناس كافة، وأرسله هدى للعالمين، وجعله خاتم النبيين وامام المرسلين.

فالرسول محمد عليه السلام، مبعوث إلى الخلائق جميعها، إنسيها وجنيها، حاضرها وغابرها، منذ أن كلفه الله بالدعوة، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال الله تعالى في كتابه الكريم مخاطبا رسوله الأمين : ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾<sup>(1)</sup> وقال : ﴿قل يا أيها الناس، إني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السماوات والارض، لا اله الا هو، يحيي ويميت، فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته، واتبعوه لعلكم تهتدون﴾<sup>(2)</sup> وفي

(1) سورة "سبا" آية 28.

(2) سورة "الأعراف" الآية 158.

الحديث الشريف الذي جاء في صحيح الامام مسلم، أن رسول الله ﷺ قال: "بعث الأنبياء قبلي الى أمهم خاصة، وبعثت الى الامم كلها عامة".

فتبين من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة، ان رسولنا مبعوث لنا ولمن يأتي بعدنا من الأمم والشعوب، على اختلاف أجناسها وألوانها ولغاتها، وأن رسالته عليه السلام، واجبة الاتباع، وهدية خير الهدى الذي لا يجوز عنه الانحراف. وان سنته تعتبر بعد كتاب الله العزيز، أصح مقول يجب أن يرجع إليه، وأن الأسوة بأفعاله وتعاليمه واجب المسلمين حيثما كانوا، وفي أي وقت وجدوا.

والمسلمون مهما اختلفت بهم الطرق، وتعددت أممهم الاتجاهات، وتوالت عليهم الأعصار، فلا بد لهم من الرجوع الى الهدى النبوي، والسير في حياتهم طبق التعاليم التي أتى بها سيدنا رسول الله من عنده، والاحتكام في قضاياهم جميعا طبق ما أرشد ودعا اليه "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما"<sup>(3)</sup>.

على هذا درج المسلمون الأولون، وبسببه تبوؤوا المكان الذي جعلهم سادة الأرض، وهداة الانام، وبناة

(3) سورة "النساء" الآية 65

الحضارة الحقة، ودعاة الأخوة والسلام، وناشرى العدل  
والمعروف بين بني الانسان. ولكن المسلمين دهاهم ما  
دها غيرهم من الامم، وأصابهم ما أصاب الشعوب،  
فتعرضوا لكثير من الخطوب، وانساقوا لكثير من  
الانحرافات والاهواء، وزاغوا عن الصراط المستقيم،  
وسلكوا السبل المعوجة، ولم يسترشدوا بما أرشدهم به  
رسولهم الأمين، ولم يأتروا بما أمرهم به قرآنهم الكريم،  
فأصبحوا أذيانا بعد أن كانوا رؤساء، وتابعين بعد أن  
كانوا متبوعين، وأذلة بعد أن كانوا أعزة، وجهالا بعد أن  
كانوا علماء، ومحكومين بعد أن كانوا حاكمين.

ولكنهم استفاقوا من غفلتهم، وكافحوا في سبيل  
عزتهم، واستعادوا ما افتقدوه من حريتهم، وصمموا  
على استعادة أمجادهم، وارجاع المكانة التي كانوا  
يحتلونها في تاريخهم. وهاهم الآن يبحثون عن الطريق  
الصحيح الذي تتحقق بسلوكه منجاتهم، ويستطيعون إن  
سلكوه، أداء رسالتهم الخالدة في الحياة، هذه الرسالة التي  
بعث الله بها رسولهم، وجعلهم ورثتها، وخلفاءه في  
أدائها. فما هي الطريق التي تعيد الى المسلمين مكانتهم في  
الوجود، وتفتح أمامهم السبيل لاداء رسالتهم الخالدة.  
فيوضحون معالم الطريق لهؤلاء الحيارى الذين اختلطت  
عليهم السبل، فطفقوا يبحثون عن سعادتهم طورا ذات  
اليمين، وأطوارا ذات اليسار، لا يهتدون إلى ذلك،

بحيث لا يقطعون مرحلة من مراحل عملهم، الا ويتبين لهم أن السعادة التي كانوا يهدفون اليها، مجرد سراب، وان تقدمهم العلمي والتقني، يكون مصحوبا بعوامل الهدم والاضمحلال والفناء.

ان الطريق أمام المسلمين واضحة، والسبيل الى تحقيق السعادة لهم ولبني الانسان جميعا واحد، وهو ما عبر عنه إمام من أئمتنا الاعلام حيث قال : "لا يصلح آخر هذه الامة، الا بما صلح به أولها".

ومعرفة ما صلح به الصدر الأول للإسلام، يقتضي من المسلمين أن يتعرفوا معرفة دقيقة على سيرة رسولهم العظيم عليه السلام، المربي الأول للإنسان المسلم، والمكون الأول للمجتمع الاسلامي الصالح. والمؤسس الأول للدولة الاسلامية الصحيحة القوية، وصدق الله العظيم الذي قال وقوله الحق : ﴿لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة﴾<sup>(4)</sup> فرسولنا عليه السلام هو الأسوة الحسنة التي يجب أن نتأسى بها ان أردنا النجاح في تكوين الانسان المسلم الحق، والمجتمع الاسلامي المتناسك، والدولة الاسلامية القوية.

ان سيرة رسولنا عليه السلام مدونة مثبتة، وتعاليمه معروفة محفوظة، ونستطيع التعرف عليها من خلال تلاوتنا

---

(4) سورة الأحزاب الاية 21

للقرآن الكريم، ومراجعتنا للأحاديث الثابتة في الصحاح، وما دونته الاسفار والمجلدات، مما كتبه المسلمون عن سيرة و حياة رسولهم، سواء منها كتب السيرة، أو كتب المغازي، أو كتب التاريخ الاسلامي، أو كتب الشمائل، أو الكتب التي ألفت في المعجزات النبوية.

وهذا الاهتمام الذي أعطاه المسلمون لسيرة رسولهم الأمين، جعل كثيرا من الكتاب الأروبيين يعترفون بأنها واضحة كالشمس، لا يكاد يخفى منها أي شيء عن حياة الرسول في مختلف أطوارها، وكمثال على ذلك نثبت هنا ما قاله أحد كتاب الانجليز في الموضوع، وهو السيد "باسورت سسميث" Smith عضو كلية التثلث في اكسفورد قال :

"ترى الشمس هاهنا بارزة بيضاء، تنير أشعتها كل شيء، وتصل الى كل شيء. لاشك أن في الوجود شخصيات لا نعلم عنها شيئا، ولا تتبين حقيقتها أبدا، أو تبقى أمورا مجهولة، بيد أن التاريخ الخارجي لمحمد ﷺ، نعلم منه جميع تفاصيله، من نشأته إلى شبابه، وعلاقته بالناس وروابطه وعاداته، ونعلم أول تفكيره، وتطوره وارتقاءه التدريجي، ثم نزول الوحي العظيم عليه، نوبة بعد نوبة، ونعلم تاريخه الداخلي، بعد ظهور دعوته، واعلان رسالته، وان عندنا كتابه : «القرآن» لا مثيل له في حقيقته، وفي كونه محفوظا مصونا".

وهكذا ندرك أن المسلمين اهتموا الاهتمام الكبير بسيرة رسولهم الأمين، فتتبعوا أنباءه، ومغازيه، وسجلوا أخلاقه وشمائله، ودونوا تعاليمه ووصاياهم، وكتبوا حياته وسيرته، استفسروا عن جميع ذلك صحابته الكرام، ودونوها في الأوراق، ولقنوها في الدروس، وسجلوها في سطور المجلدات.

ومن الذين جمعوا أخبار السيرة النبوية المتقدمين محمد بن شهاب الزهري المتوفى سنة 124هـ، وابن اسحاق المتوفى سنة 151هـ وعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري المتوفى في مصر سنة 213هـ أو 218هـ على اختلاف الروايات، ومن المتأخرين مولانا محمد علي، وسيد أمير علي، ومحمد جاد المولى، وأمين دويدار ومحمد حسين هيكل وغيرهم.

وسيرة ابن هشام، تعتبر من أصح السير التي تحدثت عن أخبار رسول الله وسيرته ومغازيه، وهي "سيرة جلييلة، فيها طائفة من أخبار العرب قبل الاسلام، وبسط للحالة بعد الإسلام، من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، وهي سجل لما جرى في هذا العهد من المعاهدات، ولما جرى في هذا العهد من المعاهدات، ولما جرى في الغزوات، فيذكر في الغزوة من شهدها من الجانيين، وما حدث لهم في تفاصيل دقيقة، كأنما هناك كتاب حربيون يدونون كل شيء، وفيها ثروة أدبية مما يورد من الأشعار في الغزوات وغيرها<sup>(5)</sup>.

(5) بحث للأستاذ محمد النجار عن السيرة النبوية، منشور في «تراث الانسانية»

وتتابعت الكتابة في السيرة النبوية، فكان فيها المطول والمختصر، وكان في الكتاب الثبت المصحح، والحاكي المتأثر بالخرافات.

ولقد تناول في الكتابة عن الرسول وسيرته، أجنب مغرضون، وأعداء ناقمون، أمثال "كيمون" و"براديه" و"فoster" و"ارنست رينان" و"كلود تسيهر" و"دروتي" و"لامنس" و"مرجليوت" و"كليموفتش"<sup>(6)</sup> في كتابه الاسلام: أصله وروحه الاجتماعي، فاتى هؤلاء من الترهات والاكاذيب عن الرسول، ما عبروا به عن دخيلة أنفسهم، وما يخجل الانسان من ذكره.

ومن المؤسف جدا أن بعض المثقفين ثقافة أجنبية من المسلمين - وهم قليلون والحمد لله - يتعرفون الى رسولنا العظيم عن طريق هؤلاء المغرضين، ولربما يتأثرون لبعض الأنباء والأفكار التي يروونها عن الرسول الأمين، ولا يبحثون في المصادر الموثوق بها عن حياة رسولهم وأعماله وسيرته، متعللين بأن كتب السيرة القديمة طويلة مملة، وغير مكتوبة بلغة العصر، والكتب الحديثة - الا القليل منها - لا تشفى ولا تكفى.

والواقع أنه قد آن الاوان، لعرض سيرة الرسول محمد عليه السلام طبق ما يفرضه الواجب، وما تحتمه

(6) كاتب شيوعي أراد أن يصور الاسلام كدين إقطاعي، والمسلمين قساة وظالمين، وان الحل لسعادة الانسانية هو الشيوعية.



التطورات التي حدثت في الأفكار. فواجب مفكري المسلمين وعلمائهم وقادتهم والمسؤولين فيهم، أن يدرسوا الوسائل القمينة بكتابة السيرة النبوية كتابة جديدة، تبرز فيها شخصية الرسول عليه السلام، كشخصية مرسله من قبل الخالق تعالى، لهداية الخلق الى الحق، وتعطى الدليل على أنها الشخصية الواجبة الاتباع، باعتبارها المثل الكامل، للانسان الكامل.

وإذا كنا - نحن المسلمين "مقتنعين بأن التاسي برسولنا، واتباع هديه عليه السلام، واجبان أكيدان لتصحيح إسلامنا، وشرطان ضروريان لبناء نهضتنا، ونجاحنا في أداء رسالتنا، فاننا مقتنعون أيضا بأنه لا يكون اتباع حقيقي، اذا لم تتوضح أمام أجيالنا معالم شخصية الرسول، وتعرض سيرته مكتوبة ومقروءة أحسن عرض وأوفقه للعصر الحاضر.

والكتابة عن الرسول عليه السلام، والتعريف بسيرته، تتطلب منا أن نبرز سلوكه المثالي، ومزاياه الخلقية، ومبادئه السامية، وتعاليمه العادلة، ووصاياه المخلصة، وإصلاحاته الاجتماعية، وتنظيماته السياسية، ومعاملاته الانسانية، وتصرفاته البيتية، وحرصه على سعادة البشرية، وتهجداته الليلية، وصدق عبوديته للحضرة الربانية، وما وهبه الله له من كمال في جميع مناحي الحياة الانسانية.

فتجلية سيرة الرسول عليه السلام، تهدي المسلمين جميعهم الى الطريق التي عليهم أن يسلكوها في حياتهم الشخصية، إن أرادوا أن يكونوا مسلمين حقا، وستوضح لهم المعالم التي يجب أن يبنوا عليها هيكل أمتهم الاجتماعي والسياسي، إن رغبوا أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله. وتجلية سيرة الرسول ستجعل الشباب المسلم، يعرف رسوله حقا، ويستمد من معينه الإلهي صدقا، فلا يبقى تائها بين الأعراب، ولا يبقى عرضة للتغريب والاستغراب، بل يتبين طريقه السوي، وهدفه الواضح البين، فينهض لاداء رسالته السامية في الحياة، هذه الرسالة التي ستنهض به وبأتمته من كبوتها، وستشع أضواؤها على هذا العالم المتعثر القلق، فتتير له السبيل، وترشده لمعالم الطريق، وتقيه من عثرات الأيام، وتصون الحضارة الصحيحة من السقوط والذوبان. فالتدهور الذي تعاني منه الحضارة الغربية الآن، والمشاكل التي تمر منها أمم الغرب، والانحدار الخلقى والفراغ الروحي الذي يقاسي منه شباب العالم، كل ذلك يفرض علينا نحن المسلمين أن نقوم بدورنا، ونعطي لهؤلاء البديل الذي ينقذهم من الوهدة المادية التي سقطوا فيها، والتي كان من جملة أسبابها، جهلهم بحقيقة الاسلام، وعدم معرفتهم المعرفة الصحيحة للرسول محمد عليه السلام، وابتعادهم

عن التغذية الروحية، والاستمداد الرباني، الذي عن طريقه وحده يغمر نفوسهم الايمان والاطمئنان، حتى أصبحت حياتهم حياة ميكانيكية جافة، لا طعم فيها للروح، ولا أساس من الأخلاق، وحتى انساق مجتمعهم مع الماديات، والماديات وحدها، فأصبحوا لا يعملون الا لتقدم الماديات، ولا تجلبهم الا المصالح المادية. وهكذا صاروا يفقدون الاطمئنان، وأصبحت حياتهم جحيما لا تطاق، ومستقبل حياتهم ينذر بالخراب، رغم ما يترأى فيه من سراب التقدم العلمي التكنولوجي، الذي مهما تقدم، فانه لا يعادل القليل اليسير من الاطمئنان.

وليت الأمر اقتصر عليهم وحدهم، ولم يتسرب داؤهم إلى غيرهم من الشعوب، ولكن الظاهرة المؤلمة أن داءهم أصبح يستشري، وماديتهم أصبحت تطغى، حتى أصابتنا بدائها، فطفق الكثيرون من شبابنا المتغذى بالثقافة الغربية الصرفة، يتأثر بماديتهم، ويفكر بعقليتهم، ولربما يتأثر حتى بمذهبيتهم، وهكذا أصبحنا في ديارنا الاسلامية، نلاحظ وجود هذه التيارات المادية، وتوجد بين ظهرانينا طوائف وجماعات، تسير في تفكيرها التفكير المادي الصرف، وتبتعد شيئا فشيئا عن حقيقة التفكير الاسلامي.

اننا - كمسلمين - مقتنعون بأن الانسان جسم وروح، وعقل ووجدان، وان مسؤوليتنا تتطلب منا أن نسير في حياتنا متوازنين بين مطالب الجسم، ومطالب

الروح، وتطلعات العقل، ورغبات الوجدان، وان ديننا الإسلامي دعانا للحفاظ على هذا التوازن، حتى نضمن رخاء عيشنا، وسعادة آخرتنا، وإن المثال الذي أعطته لنا حياة رسولنا العظيم، وسيرة سلفنا الصالح، كفيلتان بإضاءة الطريق لنا، حتى نسير على بينة من أمرنا، وننعم بسعادتنا الدنيوية والاخروية.

فبالغوص في أعماق السيرة النبوية، وفي استجلاء حياة رسولنا محمد عليه السلام، سنجد أنفسنا أمام أسوة حسنة، خططت لنا الطريق السوي، ووجهتنا للتوجيه السليم، وأعطتنا التعاليم المضبوطة، وتركتنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

وسندرك الأسباب التي جعلت الرعيل الأول من المسلمين ينجح في تقويم نفسه، وفي أداء رسالته، حتى استطاع في ظرف وجيز، أن يقلب الأوضاع العالمية الفاسدة ظهرا على عقب، فقضى على جميع أنواع العبودية لغير الله. وحارب كل أنواع الاستغلال والاستعباد، وقاوم كل أنواع الزيغ، والفساد، والميز والعنصرية والتباهي، والتفاخر بالانساب والأجناس والألوان، وستعرف إلى حقيقة الأخوة التي دعا إليها الإسلام، والتعاون الوثيق الذي ساد بني الانسان، وسندرك أن العدالة التي دعا إليها الإسلام، لم تكن شعارا أجوف، ولا كلمة تردد، ولكنها تطبيق يستفيد منه جميع

بني الانسان.

سنكتشف حقائق لم تكن مسطرة على صفحات الأوراق للدعاية والاعلام، ولكنها كانت مطبقة أتم تطبيق، ومعمولا بها في الأرض، وليست من المثاليات التي تصورها أصحاب المدن الفاضلة.

إن البحث في السيرة من جديد، وعرضها وكتابتها بالأسلوب الذي يتطلبه العصر، ويفرضه التطور الذي حصل في الأفكار، سيقوي ارتباط شباب المسلمين برسولهم الأمين، ويجعل المجتمع الإسلامي يعيش الحياة التي كان يحيها المجتمع الاول الذي كونه ورعاه، سيدنا رسول الله، حيث ستشخص أمامه شخصية الرسول الذي كان المثل الكامل للانسان، والحياة الخاصة والعامة التي كان يحيها، والاخلاق المثالية التي كان يتخلق بها، والتعاليم السامية التي كان ييها، والطريقة السديدة التي كان يعالج بها أحوال مجتمعه، وسيقتنع الجميع أن اتباع تلك التعاليم، والارتباط المتين بتلك المبادئ، هما الوسيلتان الكفيلتان بإنقاذ مجتمعا الاسلامي الحاضر، الذي أصبح يسير مع الاسف الشديد في طريق التدهور والانحلال، وان المسلمين عندما كانوا يتأسون برسولهم، ويسلكون الطريق الجادة التي حثهم على سلوكها، أصبحوا سادة الأرض، وفرضوا وجودهم في المعمور، وأعطوا المثل الصالح، والنموذج المثالي لما ينبغي أن تعيش

عليه الأمة الوسط التي لاتهدف في حياتها وأعمالها الا الى الخير العام، وصالح المجموع، وتوحيد البشرية على أساس من التعاون والتضامن والتحاب.

سيدركون عند اطلاعهم على سيرة رسولهم، ان هذا الرسول العظيم، خطط لهم الطريق ووضح لهم معالمها، وحذرهم من الانحراف، وبين لهم مساوئه، ودعاهم الى القيام بواجباتهم، مثل ما عرفهم بحقوقهم، وأرشدهم الى كيفية التعامل، وطريقة التعايش، سواء مع بعضهم بعضا، أو حتى مع الذين يخالفونهم في الدين، ويودون أن يعيشوا بين ظهرانيهم مسالمين، وسيطلعون على الأسلوب الذي قرره الرسول لهذا التعايش في الوثيقة التاريخية العظيمة التي أمر بتحريرها سيدنا رسول الله عندما هاجر الى المدينة المنورة، وشرع في تكوين المجتمع الاسلامي السليم، ووضح فيها الحقوق والواجبات لكل المتساكنين، بما فيهم غير المسلمين. فتلك الوثيقة التاريخية، تبرز الملامح التي أراد الرسول العظيم أن يبنى عليها المجتمع الاسلامي، سواء في عهده عليه السلام، أو في العصور التي تليه.

فهي ترمي إلى الوحدة الحقيقية للمجتمع الاسلامي، وإلى احقاق العدل بين الناس، وإلى التضامن والتكافل بين المسلمين في مختلف الميادين، بما فيها الميدان المالي والاقتصادي، كما ترمي الى تحقيق المساواة بين المتساكنين

في الأحكام، سواء اتحد اعتقادهم أو اختلف، وتؤكد ان المرجع في القضايا والخلافات هو حكم الله ورسوله ﷺ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت، ويسلموا تسليما ﷻ وتعطى أهمية خاصة لقضية المظلومين والمستضعفين، وتعتبر أن الإسلام كل لا يتجزأ.

ان هذه المبادئ التي خطها رسول الله، والتي وردت مجملة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، كانت دائما ماثلة أمام أعين المسؤولين في الأمة الاسلامية، عندما كان هؤلاء يقدرون رسالتهم، ويتحملون مسؤولياتهم بأمانة وصدق، واليوم وقد اعتور الأمة الاسلامية ما اعتورها، وأصابها من الانحراف ما أصاب غيرها، تعين عليها الرجوع الى المصدر الأول، والمنبع الصافي الذي سيكون طريق منجاتها، وما المنبع إلا الرسول وسيرته، وما المصدر الا ما كان عليه السلف الصالح، ولا يمكن أن نتعرف إلى ذلك الا عن طريق السيرة النبوية.

إن دعوتنا لكتابة السيرة النبوية من جديد، وعرضها العرض المناسب للتطور الذي حصل في الأفكار، وبالأسلوب الذي يجعلها سهلة التناول، سيدفع حتى غير المسلمين للتطلع على حقيقة الدعوة الاسلامية، والتعرف الصحيح، إلى شخصية رسولنا، التي حجبها عنهم المغرضون والحاقدون على الاسلام، ونبى المسلمين.

لقد قيل : ان الاسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، ونرى أن أحسن دعاية يقوم بها المسلمون لصالح دينهم، هي اعطاء المثل الصالح من أنفسهم أولاً، وكتابة سيرة رسولهم كتابة سليمة صادقة، تبرز فيها خصائص هذا النبي الكريم، وصدق دعوته، وتشرح المبادئ والأهداف التي دعا إليها سيدنا رسول الله.

ان المعارضين للأديان، والمقاومين لدين الاسلام، يثنون بعض الأفكار، ويلقنون أشياعهم بعض الشعارات، ما يجعل هؤلاء الأشياع، يتيهون في بحر من الأضاليل، ويصدقون كثيراً من الترهات ضد الإسلام. فبعض هؤلاء يثنون في أشياعهم وأنصارهم، أن الاسلام يعارض العلم والتقدم العلمي، وانه لا يستطيع أن يعيش في العصر التكنولوجي. فيجب أن نبرز أثناء كتابتنا للسيرة النبوية، موقف الاسلام من العلم، وحض الرسول الأمين على طلبه، حتى يقتنع الجميع بتضليل ما يريد المخطمون.

وإذا كان الاسلام أتى لتوحيد البشرية على كلمة سواء، فأرسل الله رسوله داعياً إلى التوحيد والوحدة، وجعله مبعوثاً إلى الخلق كافة، ليتساوى الناس جميعاً في الحقوق والواجبات، ولا يتميزون إلا بالتقوى، فان الحاقدين على الإسلام والمتربصين به، والمتقولين عليه ما ليس لهم به علم، يقولون : انه دين الإقطاع، فيجب أن نبرز أثناء كتابتنا للسيرة النبوية ؛ أقوال النبي عليه السلام وأعماله



لصالح الطبقة المستضعفة والمحرومة، ودفاعه عنها، ما جعل أغلبية أتباعه الأولين من طبقة المستضعفين.

إن اصطدم الاسلام بالوثنية واليهودية والمسيحية، جعله يتعرض لكثير من الهجمات المغرضة، والحمالات الكاذبة، وينسب اليه، ويختلق عليه ما هو منه براء.

وهذه الحملات المغرضة، والأكاذيب المختلفة، لم تكن بنت هذا العصر، ولكنها من صنع أولئك المغرضين والحاقدين، تناقلها عنهم الأبناء، وتلقفها منهم بعض المستشرقين، الذين لم يستطيعوا أن ينسلخوا مما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم، أو الذين أعوزهم إدراك عمق الحقائق، فطفقوا يكتبون ويتحدثون بما تمليه عليهم أهواؤهم وجهالتهم، فضلوا وأضلوا.

والحقيقة أن المسلمين بدورهم يتحملون كثيرا من المسؤولية، حيث أنهم لم يقوموا بواجبهم خصوصا في العصور الأخيرة - في التعريف بحقيقة دينهم، والتعريف بمزايا تعاليم إسلامهم، وإبراز معالم شخصية رسولهم، باعتباره الشخصية الفذة التي جعلها الله نورا للعالمين، وطلب منا أن نجعلها قدوة حسنة، إن كنا مومنين حقا وصدقا، وإذا كانت ظروفهم الماضية، لم تتح لهم القيام بهذا الواجب الأكيد، فان واجب مفكري المسلمين وعلمائهم وقادتهم والمسؤولين فيهم، يفرض عليهم أن

يراجعوا أنفسهم، ويعدوا الآن للأمر عدته، ويتخذوا له أهيته.

وان المؤتمر الدولي للسيرة النبوية الذي دعت اليه الشقيقة "باكستان" كفيل بأن يحقق لنا هذا المبتغى، ويعمل على تحقيق هذه الرغبة المنشودة.

وانني بهذه المناسبة أود أن أقترح على المؤتمر الدولي للسيرة النبوية، أن يؤسس لجنة يعهد اليها بوضع مخطط لكتابة السيرة النبوية، حسب منهج مدروس، وبأسلوب صالح مستجيب للرغبة التي يرغب فيها الشباب المسلم، والتي تجعله عارفا بجوانب سيرة نبيه، وأهداف رسالته في الحياة.

وأرى أن تكتب على طريقتين اثنتين على الاقل. فالطريقة الأولى يخاطب بها تلامذة المدارس الاسلامية ابتدائي و ثانوية، بحيث يكون أسلوبها أسلوبا مدرسيا يجعل التلاميذ يعون سيرة رسولهم، ويلمون بكثير من جوانبها.

وهذا القسم الذي سيوضح لتلامذة المدارس، ستكون له أهمية خاصة بالنسبة لمستقبلهم، حيث ستوضع أمامهم الشخصية النموذجية التي عليهم أن يقتفوها ويسلكوا مسلكها، وتكون لهم المثال الصالح في الحياة، لا من حيث سلوكها الشخصي وأخلاقها المثالية فحسب،

ولكن من حيث الدور الايجابي في الإصلاح البشري الذي قامت به، والتعاليم والتوجيهات التي أتت بها ودعت اليها، لتكريم بني الانسان، وتوجيهه في ميادين الخير والحق والتوحيد.

أما القسم الثاني والمهم في كتابة السيرة النبوية، والذي سيكون المرجع الأساس، للتعرف إلى حياة النبي عليه السلام وحقيقة دعوته، وضرورة الاهتداء بهديه، واتباع سنته، والذي سيكون الوسيلة الفعالة لابرار شخصية رسولنا العظيم كشخصية واجبة الاتباع، لا من قبل المسلمين وحدهم، ولكن حتى من قبل غيرهم من الذين يتطلعون الى من ينقذهم من الحيرة، والارتباك اللذين يعيشان فيها.

فاني اقترح أن يوضع كما يلي :

1 - الفصل الأول من الكتاب، يشرح الأوضاع التي كان عليها العالم قبل بعثة الرسول محمد عليه السلام، سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية.

2 - الفصل الثاني : يوضح افتقار العالم إلى الإصلاح السماوي إصلاحا حقيقيا، كما يوضح أن الديانات السابقة أدخل عليها المنتسبون إليها كثيرا من التحريفات والتعقيدات والأساطير، حتى أصبحت مجردة عن حقيقتها التوحيدية وأهدافها النبيلة.

3 - الفصل الثالث : يدلل فيه على ضرورة الوحي وتفند فيه الآراء والنظريات التي ترفضه، ويوتى فيه بالادلة المقنعة على أن العقل والعلم، لا يكفيان لانقاذ البشرية من سقطتها، وأن المحنة التي تعانيها الإنسانية ترجع في أساسها وحقيقتها إلى فقدان الوازع الديني، والحرارة الايمانية، والهدي السماوي.

4 - الفصل الرابع : حياة الرسول عليه السلام في مختلف أطوارها، سواء قبل البعثة أو بعدها وخصوصا بعد البعثة وأخلاقه وتوجيهاته وحقيقة دعوته.

5 - الفصل الخامس : المبادئ الأساس التي دعا اليها الرسول في الميادين الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية والسياسية مع إعطاء الأمثلة الكثيرة من أقواله وأفعاله وجميع تصرفاته، وهذا الفصل مهم جدا، حيث ستركز فيه دعوة الرسول وأعماله لإسعاد البشرية وإنقاذها من الانحدار، في وحدة متناسقة وأفكار متكاملة، كما ستظهر فيه قيمة الدين الإسلامي، باعتباره دينا أتى بالدعوة للتوحيد، وعبادة الخالق وحده لا شريك له، وفي الوقت نفسه أتى لإصلاح أحوال البشر وإسعادهم، والاهتمام بقضاياهم الحياتية الدنيوية، وانه لم يهتم بالجانب العقائدي فحسب، ولكنه اهتم وعمل على تنظيم حياة بني الانسان، ورفع الظلم عنهم، ومبادئه مثلا في الشورى والحكم والمساواة والحرية، التوحيد، ودفاعه

واعتناؤه بقضايا الاسرة، والمرأة، والطبقات المحرومة، ليست الا دليلا على عمله على تنظيم الحياة الانسانية، تنظيما يهدف إلى إسعاد كافة البشر في أنحاء المعمور.

6- الفصل السادس : الاعمال التي قام بها الرسول في حياته، والتي أراد أن يبنى عليها المجتمع الاسلامي السليم السعيد، والعناصر التي تتكون على أساسها الدولة الاسلامية.

7 - الفصل السابع : شخصية الرسول الانسان، فمحمد انسان، ولكنه رسول يوحى اليه من ربه، وهو مثل بقية الأنبياء والمرسلين، ولكنه خاتمهم والمفضل عليهم.

8 - الفصل الثامن : نداء إلى البشرية كلها لاتباع طريق الاسلام، والدخول فيه، اتباعا للحق، وهدى للبشرية، ووحددة للرأي، ونجاة للناس أجمعين.

﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾  
﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا، فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما﴾.

صدق الله العظيم

## الفهرس

رسالة الرسول محمد عليه السلام رسالة عالمية	
خالدة .....	9
بعثة الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ غيرت الأفكار	
والتقاليد على نطاق البشرية كلها .....	51
محمد ﷺ أعظم شخصية في التاريخ الانساني .....	78
محمد رسول الله ﷺ المثل الكامل في الخلق .....	84
محمد الراعي الأمين .....	89
حياة الرسول ﷺ في ثلاثة أطوار .....	92
الرسالة الاسلامية رسالة خالدة ﴿وما أرسلناك الا	101
رحمة للعالمين﴾ .....	
عرفت الإنسانية سموها بولادة محمد ﷺ .....	109
بعثة الرسول محمد ﷺ كرّمت الإنسانية كلها ....	114
يا رسول الله .....	120
ذكر مولد الرسول الأمين ﷺ .....	127
من وصايا رسول الله ﷺ .....	132
عيد المولد النبوي ثالث عيد للمسلمين .....	137
واجب مفكري المسلمين نحو سيرة الرسول الأمين	
ﷺ .....	148